

## عبد الحسن الحسينى :

### « الأقسام الجغرافية لجزيرة العرب »

كما تصورها المصادر العربية

#### حدود الجزيرة العربية :

اختلفت المصادر العربية في رسم الحدود الجغرافية لبلاد العرب . ويرجع اختلافها في ذلك الى تباين المناهج التى اتبعتها في تناول الموضوع ومعالجته . ونستطيع ان نستخلص من بين هذه الخلافات أربعة آراء رئيسية في معالجة الموضوع .

أما الراى الاول فهو راى فقهاء الدولة ورجال التشريع فيها . ذهبوا في تحديدهم لرقعة البلاد العربية الى اتخاذ التقسيم الإدارى - الذى اعتمد عليه ديوان الخراج في تحديد أعمال الدولة - أساسا يستندون اليه في مذهبهم الذى ذهبوا اليه .

« ذكر ابن وهب عن مالك قال : أرض العرب مكة والمدينة واليمن » (١)

« وقال أحمد بن المذلل حدثنى يعقوب بن محمد بن عيسى الزهرى قال : قال مالك بن انس جزيرة العرب المدينة ومكة واليمامة واليمن » (١)

« وقال المغيرة بن عبد الرحمن : جزيرة العرب مكة والمدينة واليمن وقريناتها » (١) .

فهذه النصوص الثلاثة تتفق على تحديد رقعة بلاد العرب « بمكة والمدينة واليمن » ولكنها تختلف بمد ذلك في شأن اليمامة . وقد اعتمدت هذه النصوص على وجهة النظر الفقهية التى كانت تأخذ - في تحديدها للامصار وكور الاقاليم وما تشتمل عليها من القصب والمدن - بالتحديد السياسى الذى حددته الدولة . فالأعمال الرئيسية في بلاد العرب كانت مكة والمدينة واليمن . وكانت نجد تدخل ضمن عمل المدينة .

أما اليمامة فاختلافهم في شأنها راجع الى اختلاف وضعها بين العصرين الاموى والعباسى . ففي عهد الامويين كانت اليمامة تضاف احيانا الى المدينة ،

(١) البكرى : معجم ما استعجم ( القاهرة ١٩٤٥ ) ٥

وأحيانا تفرد براسها فتكون قسبة مستقلة . وبهذا نستطيع ان نفهم الاختلاف الذى نراه بشأنها فى النصوص التى رويت عن مالك . وأما فى عهد العباسيين فكانت اليمامة والبحرين وعمان عملا واحدا من أعمال العراق . « البحرين من أعمال العراق . وحده من عمان ناحية جرفار . واليمامة على حياها ، وربما ضمت اليمامة الى المدينة ، وربما افردت . هذا كان فى أيام بنى أمية . فلما ولى بنو العباس صيروا عمان والبحرين واليمامة عملا واحدا » (١) .

فحدود البلاد العربية على هذا الرأى هى التى تدور حول مكة والمدينة واليمن تدخل فى ذلك نجد لأنها كانت تعتبر من أعمال المدينة دائما . وقد تدخل اليمن ضمن هذه الحدود . وأما فى عهد العباسيين فكانت تضاف الى أعمال العراق . وتدخل فى ذلك توابع اليمن من الاحقاف والاشجار اذا اعتبرنا الضمير فى « قرياتها » يعود على اليمن .

أما عمان والبحرين فتخرجان عن هذا التحديد اذ كانتا دائما من أعمال العراق فى عهد الامويين والعباسيين على السواء . لذلك أخرجها مالك والمقررة والزهرى من أعمال بلاد العرب .

ومرجع الفقهاء فى هذا - كما نفهم من قول أبى اسحق الحربى - هو عمل عمر بن الخطاب فى خلافته « وأخرج عمر بن الخطاب اليهود والنصارى من جزيرة العرب ، الا انه لم يخرجهم من نجران ولا اليمامة والبحرين فسميت العروض » (٢) فعمر قد اعتبر بلاد العرب قاصرة على أعمال مكة والمدينة وبهذا أخذ الفقهاء أول الامر فيما يظهر ، ولكنهم أمام عمل الامويين والعباسيين - الذين اضافوا اليمن الى أعمال بلاد العرب - لم يكن لهم بد من ان يعدلوا عن رأيهم الأول . واطافوا اليمن كذلك الى رقعة البلاد العربية .

وقد تأثر بعض الجغرافيين بهذا الرأى فى تحديدهم لرقعة الجزيرة العربية .

وأما الرأى الثانى فيحدد رقعة البلاد العربية تحديدا جغرافيا . فيجعل البحر حدها الغربى والجنوبى والشرقى ، ويكمل هذا الحد من ناحية الشرق نهر الفرات الذى ينعطف بعد ذلك فى شمال سوريا ، ثم يتجه حتى يصل الى خليج العقبة .

قال ابن حرقل « والذى يحيط بها ( ديار العرب ) بحر فارس من عبادان - وهو مصب ماء دجلة فى البحر - فيمتد على البحرين حتى ينتهى الى عمان ،

(١) ياقوت : معجم البلدان - مادة « البحرين »  
(٢) البكرى معجم ما استعجم ( القاهرة ١٩٤٥ ) ١٢

ثم يعطف على سواحل مهرة وحضرموت وعدن حتى ينتهي على سواحل اليمن الى جدة ، ثم يمتد على الجار ومدين حتى ينتهي الى ايلة ، ثم قد انتهى حينئذ حد ديار العرب من هذا البحر . وهذا المكان من البحر لسان ويعرف ببحر القلزم - والقلزم مدينة على طرفه وسيفه - فاذا استمر على تاران وجبيلان وصل الى القلزم وينقطع حينئذ . وهو شرقي ديار العرب وجنوبيها وشيء من غربيها . ثم يمتد من ايلة على مدائن قوم لوط والبحيرة الميتة التي تعرف ببخيرة زغر الى الشراة والبلقاء وهي من عمل فلسطين ، واذرعات وحوران والبثنية وغوطة دمشق ونواحي بعلبك وهي من عمل دمشق ، وتدمر وسلمية وهما من عمل حمص ، ثم الى الخناصره وبالس وهما من عمل قنسرين . وقد انتهى الحد الى الفرات . ثم يمتد الفرات على ديار العرب حتى ينتهي الى الرقة وقرقيسيا والرحبة والدالية وعانة والحديشة وهي والانبار الى الكوفة ومستفرغ مياه الفرات الى البطائح ، ثم تمتد ديار العرب على نواحي الكوفة والحيرة على الخورنق وعلى سواد الكوفة الى حد واسط فتصاقب ما جاور دجلة وقاربها عند واسط مقدار مرحلة ، ثم تستمد وتستمر على سواء البصرة وبطائرها حتى ينتهي الى عبادان .

وهذا الذي يحيط بديار العرب : فما كان من عبادان الى ايلة فانه بحر فارس ويشتمل على نحو ثلاثة ارباع ديار العرب وهو الحد الشرقي والجنوبي وبعض الغربي . وما بقى من حد الغربي من ايلة الى بالس فمن الشام . وما كان من بالس الى عبادان فهو الحد الشمالي . ومن بالس الى ان تجاوز الانبار فمن حد الجزيرة . ومن الانبار الى عبادان فمن حد العراق « (١)

وبحر فارس الذي يذكر في هذا النص يقصد به الخليج الفارسي ، وبحر اليمن ، ثم البحر الاحمر . وقد اطلق المؤلف عليها جميعا اسم بحر فارس .

ويتفق مع هذا النص تماما نص الاضطخري الذي يورده في المسالك والممالك (٢) ، لم يختلف عنه الا في كلمة واحدة اذ قرأ كلمة « البحيرة الميتة » . الواردة في النص « البحيرة المنتنة » . وهذا الاتفاق قد يدعونا الى الظن ان هذا التحديد الجغرافي للجزيرة العربية قد سبقهما اليه مصدر سابق اعتمدا عليه واخذنا عنه . ولما كان الاضطخري قد عول في كتابه على كتاب صور الاقاليم لابن زيد احمد بن سهل البلخي الذي يذكره المقدسي على انه امام هذا العلم (٣) فمن المحتمل ان يكون هذا النص الذي بين ايدينا هو نص ابن زيد البلخي . وقد يرجح ذلك اطلاقه اسم بحر فارس على البحر الاحمر وبحر اليمن .

(١) ابن حوقل : صورة الارض ( ليدن ١٩٢٨ ) ١٨/١٩

(٢) الاضطخري : مسالك الممالك ( ليدن ١٩٢٧ ) ١٢/١٣

(٣) المقدسي : احسن التقاسيم ( ليدن ١٩٠٦ ) ٦٨

فالبحر الاحمر فى المصادر القديمة غير الفارسية كان يضاف الى الحبشة لا الى فارس فكان يسمى بحر الحبشة .

فهذا التحديد الجغرافى الذى يشتمل عليه النص يتفق - فيما يبدو - مع لفظ الجزيرة الذى اضافهُ العرب الى بلادهم فقد تصوروا والماء يحيط بها من جهاتها . « قال الخليل سميت جزيرة العرب جزيرة لان بحر فارس وبحر الحبش والفرات ودجلة احاطت بها وهى ارض العرب ومعناها » (١) .

ولا يذكر بحر الروم فى هذا التحديد مع الحاجة اليه لاستكمال صورة الجزيرة من ناحية حدها الغربى . والظاهر ان بعض الاعتبارات الجغرافية او التاريخية قد جعلت الحد الغربى لبلاد العرب يتعد قليلا عن ساحل البحر الابيض . فالحد كما يرسمه ابن حوقل والاصطخري يتجه من ايلة الى البحر الميت ثم الى الشراة والبلقاء وحوران وغوطة دمشق ونواحي بعلبك ، اى ان هذا الحد هو الانكسار الاخدودى الفاصل بين سلسلة الجبال الساحلية المطلة على البحر الابيض وبين الهضبة الداخلىة المطلة على البادية . فهذا الانكسار يقوم حائلا دون اتصال الاجزاء الداخلىة بالساحل بصيقة عامة . ويتكون من وادى العربية الواصل من العقبة الى البحر الميت ، ثم من الاخدود الذى يشغله البحر الميت ونهر الاردن ، ثم من سهل البقاع الذى تقع فيه بعلبك ، ثم من مجرى نهر المعاصى حتى اقليم الغاب ، اذ يتجه الانكسار بعد ذلك نحو الاراضى التركية حتى مرعش .

وهذا الحد يظهر اكثر وضوحا وتاكيدا فى اجزائه الجنوبية منه فى جزئه الشمالى . فوادى العربية واخدود البحر الميت والاردن يكون شبه خندق طبيعى يحول دون القبائل العربية واقليم الساحل ، ويكون مشابها لذلك الخندق الصناعى الذى اتخذهُ كسرى فى الناحية الشرقية من البادية ليحول دون البدو ويريف العراق .

وقد اخرج هذا الحد شبه جزيرة سينا من دائرة البلاد العربية ، ولكنه كان جديرا ان يدخل الامارات التى كانت تقع فى شرقيه فى حدود البلاد العربية . ولكن الاعتبارات السياسية - التى كانت تجعل هذه الامارات تابعة لاقليم الشام - اقتطعتها من حيز الجزيرة العربية وازافتها الى اقليم الساحل . « ويتصل بارض العرب بناحية ايلة بوية تعرف بتيه بنى اسرائيل وهى بوية وان كانت متصلة بديار العرب فليست من ديارهم ، وانما كانت بوية بين ارض العمالقة واليونانية وارض القبط ، وليس للعرب بها ماء ولا مرعى ، فلذلك لاتدخل فى ديارهم . وقد سكن طوائف من العرب من

(١) البكرى : معجم ما استعجم (القاهرة ١٩٤٥) ٦

ريعة ومصر الجزيزة حتى صارت لهم بها ديار ومراع ، ولم أر أحدا عزاً  
الجزيرة الى ديار العرب لان نزولهم بها وهى ديلد لغارس والروم على أضعاف  
قرى معمورة ومدن لها أعمال عريضة فنزلوا على خفارة فارس والروم ، حتى  
ان بعضهم تنصر ودان بدين النصرانية مع الروم مثل تغلب من ربيعة بأرض  
الجزيرة وغبان وبهراء وتنوخ من اليمن بأرض الشام « (١) . فالادارات  
السياسية التى كانت تنشأ على أطراف البادية خاضعة لغارس أو الروم كانت  
لا تعتبر من بلاد العرب رغم دخولها فى حيزها الجغرافى . ولهذا لمكان كثيراً من  
الجغرافيين كانوا يفضلون فى تحديد الحد الجغرافى من هذه الناحية استعمال  
عبارة « مشارف الشام » أو « أطراف الشام » وذلك للاعتبارات السياسية  
والتاريخية التى كانت تدخل ذلك الاقليم فى بلاد الشام « وقال الاصمعى :  
جزيرة العرب ما لم يبلغه ملك فارس من أقصى عدن أبين الى أطراف الشام  
- هذا فى الطول - والعرض من جدة الى ريف العراق » (٢) .

وأما الراى الثالث فيوفق بين الرايين السابقين فيراعى فى تحديده اربعة  
البلاد العربية الاعتبارات الجغرافية والاعتبارات الادارية فى تقسيم الدولة ،  
وخير من عبر عن هذا الاتجاه المقدسى فى كتابه احسن التقاسيم « وهذه صورة  
جزيرة العرب . وقد جعلناه اربع كور جليلة واربع نواح نفيسة . والكور :  
اولها الحجاز ثم اليمن ثم عمان ثم هجر . والنواحى : الاحقاف ، الاشجار ،  
واليمامة ، وقرح » (٣) . فهو بهذا التحديد يقصر الجزيرة العربية على الجزء  
الذى يطيف به البحر من الخليج الفارسى الى خليج العقبة والذى يحده من  
الشمال خط يمتد من العقبة ( ابله ) الى الخليج الفارسى . وهذا القدر هو  
الذى ذكره ابن حوقل على أنه ثلاثة ارباع ديار العرب ، ولكن المقدسى يقتصر  
عليه ليخرج البلاد الشامية من حدود الجزيرة العربية مراعيًا فى ذلك الاعتبارات  
السياسية والتاريخية التى كانت تجعل من الشام اقليما مستقلا . وهو فى  
تحديده كذلك لم يتقيد بالنظام الادارى للدولة ، الذى كان يعتبر البحرين  
وعمان واليمامة من اعمال العراق ، والذى كان يأخذ به الفقهاء ولكنه غلب  
وجهة النظر الجغرافية فأدخل هذه الثلاثة فى حدود الجزيرة العربية على الرغم  
من تبعيتها الادارية للعراق .

ويصور لنا المقدسى جزيرة العرب فى صورة طريفة تتم عن ادراك أصيل ،

- (١) ابن حوقل صورة الارض ( ليدن ١٩٣٨ ) ١٩ ، الاصطخزى : مسالك  
المالك ( ليدن ١٩٢٧ ) ١٤  
(٢) البكرى : معجم ما استعجم ( القاهرة ١٩٤٥ ) ٦  
(٣) المقدسى : احسن التقاسيم ( ليدن ١٩٠٦ ) ٦٨

فيتخيلها صنفئة مستطيلة تمتد من قعر اليمن الى بادية السماوة وبابها الى بادية السماوة وظهرها الى عدن ، ووضع في طولها سريران احدهما على امتداد الآخر وبجانب كل سرير فضاءان . « واعلم ان مثل هذه الجزيرة كمثل صفة فيها ادنى طول قد وضع فيها سرير من صدرها الى بابها بينه وبين الحائطين من يمين وشمال فضاء . والسرير قطعتان . فالسرير الداخل هو نجد اليمن وهي جبال تقع فيها صنعاء وصعدة وجرش ونجران وبلد قحطان . وعدن في الصدر في آخر الجبل لان ثالث الحيطان هو بحر الصين . وهذه السروات عامرة ، بها الاعناب والمزارع . والفضاء الذي عن يمين السرير تهامة . تقع فيه زيبد وبلدانها . والفضاء الذي عن يساره يسمى نجد اليمن تقع فيه الاحقاف ومهرة الى تخوم اليمامة . ومنهم من يدخلها وعمان في هذه الخطة . وهذا السرير مع الفضائين هي اليمن . والسرير المؤخر الى باب الصفة يسمى الحرة ، من تخوم اليمن الى قرح جبال كلها يابسة لا ينبت الا مواقع المواشي والعضون والشام . يقع فيه الحرم والعمق ومعادن التقررة وتلك المجادب . والفضاء الايمن يسمى الحجاب . وطية الحجاز قليلة يقع فيها ينبع والمروة والعميص . والسواحل عمارات ونخيل . والفضاء الايسر يسمى نجد الحجاز يقع فيه اليمامة وفيد وما على الجادة من المنازل . ويسمى هذا السرير مع فضائيه الحجاز ويدخل هجر فيه . ويقابل باب الصفة البادية وهذا شيء رايتة وقسمته والله اعلم » (١) . فالبادية بادية السماوة والشام والعراق خارج هذه الصفة او خارج الجزيرة العربية ، وهي بابها .

ويتفق هذا الرأي مع الروايات التي نقلت لنا عن الاصمعي وابى عبيدة والتي تجعل حدود جزيرة العرب من الشمال « اطرار الشام » او « منقطع السماوة » .

« قال الاصمعي جزيرة العرب ما لم يبلغه ملك فارس من اقصى عدن ابين الى اطرار الشام . هذا هو الطول . والعرض من جدة الى ريف العراق » . وابو عبيدة يذهب الى نفس هذا التحديد غير انه يعتبر الطول عرضا والعرض طولاً وينقل عن الاصمعي قولاً آخر يؤيده فيما ذهب اليه . « قال ابو عبيدة جزيرة العرب ما بين حفر ابي موسى بطواراة من ارض العراق الى اقصى اليمين في الطول . واما في العرض فما بين رمل بيرين الى منقطع السماوة » وينقل عن الاصمعي فيذكر ان طولها من اقصى عدن ابين الى ريف العراق في الطول وان عرضها من جدة وما والاها من ساحل البحر الى اطرار الشام » (٢) .

(١) المقدسي : احسن التقاسيم ( ليدن ١٩٠٦ ) ٩٥/٩٤

(٢) البكري : معجم ما استعجم ( القاهرة ١٩٤٥ ) ٦

وأما الرأي الرابع فيريد أن يجعل احاطة الماء من جميع الجهات هو الأصل الأول في مفهوم الجزيرة . وعلى هذا الأساس اللغوي في فهم التسمية « جزيرة العرب » يذهب الى رسم حدودها الجغرافية ، جاعلا من الفرات وخليج فارس وبحر اليمن والبحر الاحمر والنيل وبحر الروم ماء محيطا بجزيرة العرب من جميع جهاتها . وهذا التحديد يختلف عن تحديد الاصطخرى وابن حوقل بأن أدخل النيل وبحر الروم في رسم الحد الغربي للجزيرة العربية .

« عن الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن فضالة : انما سميت جزيرة لاحاطة البحر بها والانهار من اقطارها واطرارها . وذلك ان الفرات اقبل من بلاد الروم فظهر بناحية قنسرين ، ثم انحط عن الجزيرة - وهى ما بين الفرات ودجلة - وعن سواد العراق حتى دفع في البحر من ناحية البصرة والابلة ، وامتد الى عبادان ، واخذ البحر من ذلك الموضع مغربا مطيفا ببلاد العرب منعطفاعليها فاتى منها على سفوان وكاظمة ، ونفذ الى القطيف وهجر واسياف عمان والشحر ، وسال منه عنق الى حضرموت وناحية ابين وعدن ودهلك ، واستطال ذلك العنق فظعن في تهائم اليمن - بلاد حكم والاشعريين وعك - ومضى الى جدة - ساحل مكة - والى الجار - ساحل المدينة - والى ساحل تيماء وابلة ، حتى بلغ قنزم مصر وخالط بلادها . واقبل النيل في غربي هذا العنق من اعلى بلاد السودان مستطيلا معارضا للبحر حتى دفع في بحر مصر والشام . ثم اقبل ذلك البحر من مصر حتى بلغ بلاد فلسطين ومر بعسقلان وسواحلها واتى على صور - ساحل الاردن - وعلى بيروت وذواتها من سواحل دمشق ، ثم نفذ الى سواحل حمص وسواحل قنسرين حتى خالط الناحية التي اقبل منها الفرات متحطا على اطراف قنسرين والجزيرة الى سواد العراق » ( ١ ) .

فالمشكلة التي يضعها امامنا هذا النص هي اعتباره النيل الحد الغربي للجزيرة العربية « واقبل النيل في غربي هذا العنق من اعلى بلاد السودان مستطيلا معارضا للبحر حتى دفع في بحر مصر والشام » وما يتبع هذا الاعتبار من ادخال بلاد النوبة والبجة وصحراء مصر الشرقية في حدود الجزيرة العربية .

قد يكون الدافع لرسم حدود الجزيرة العربية على هذا النحو هو التفسير اللغوي لكلمة جزيرة مع شيء من السذاجة ، او الغفلة عن الحقائق الجغرافية ، او مع شيء من المهارة في صنعة التأويل والتخريج ، وان كان ذلك على حساب الحقائق الجغرافية ، ولكن قد يكون هناك بعض الاعتبارات الاخرى التي ادخلها صاحب هذا التحديد في حسابه ، فلنحسن به الظن شيئا ما .

(١) البكري : معجم ما استمعجم ( القاهرة ١٩٤٥ ) ص ٧

أن سكان الصحراء الشرقية في المنطقة التي تقع بين أسوان والبحر الأحمر يتصلون اتصالاً وثيقاً بسكان قلب الجزيرة العربية . وقد أدرك العرب هذه الحقيقة والتفتوا إليها وسجلها الجغرافيون منهم .

قال اليعقوبي في وصفه للطريق من قفط إلى البحر الأحمر ووصفه لمناجم الذهب في هذه المنطقة « ومن الخربة ( خربة الملك منجم قديم في هذه المنطقة ) إلى رحم معدن تبر . ثلاث مراحل . وبرحم قوم من بلو وجهينة وغيرهم من إخطاط الناس يقصدون للتجارات » (١) ويقول في مكان آخر « ومن العلاقى

( واد بين أسوان والبحر الأحمر ) إلى موضع يقال له وادى الجعل مرحلة ثم إلى موضع يقال له عتب ثم إلى موضع يقال له كنار يجتمع الناس به لطلب التبر وبه قوم من أهل اليعامة وربيعة » (٢) « ومن العلاقى إلى موضع يقال له دح ينزله قوم من بنى سليم وغيرهم من مضر عشر مراحل » (٣) .

فهذه النصوص تبين لنا مقدار صلة الجزيرة العربية بهذه المنطقة من الصحراء الشرقية ونوع هذه الصلة وكيفيتها . فإن كان بعض هذه النصوص يفسر بوجود قبائل الجزيرة العربية في هذه المنطقة بأسباب تجارية واقتصادية ، أى أن وجودهم بها كان على نطاق ضيق ، فقد نجد نصوصاً أخرى تعزو وجود هذه القبائل في هذه المنطقة لأسباب أخرى . فقد كانت وجهة القبائل البدوية في هجراتها من الجزيرة العربية ولذلك فإن وجودهم بها لا بد وأن يكون على نطاق أوسع من ذلك الذى استخلصناه من النصوص السابقة . « وأما اليعامة فواد والمدينة ، به تسمى الحضرة . . . وكانت قراراً لربيعة ومضر فلما نزل عليها بنو الأخيضر جلت العرب منها إلى جزيرة مصر فسكنوا بين النيل وبحر القلزم وقرت ربيعة ومضر هناك وصارت لهم ولتحميم كالدائر التى لم يزالوا بها . وابتنوا بها غير منبر كالمحدثنة التى بظاهر أسوان وكالعلاقى وهو المنهل يجتاز به الحجيج إلى عيذاب » (٤) .

وإذا كانت هجرة القبائل العربية إلى هذه المنطقة من الصحراء الشرقية ظاهرة غير مطردة حدثت من قبيل المصادفة فلا يجوز لمحمد بن فضالة أن يدخلها في اعتباره - أن كان قد راعى مثل هذه الاعتبارات - فيرى أن هذه البقعة من الصحراء الشرقية امتداد لقلب الجزيرة العربية . ولكن ربما كانت هذه الظاهرة ظاهرة مطردة في العهود البعيدة التى وعثها ذاكرة العرب فكان البحر لا يصف أمامهم حائلاً يمنعهم من العبور إلى عدوته الأخرى والإقامة بها فعبّر ابن فضالة عن هذا المعنى فأدخل هذه المنطقة في حدود الجزيرة العربية .

(١) اليعقوبي: البلدان ( ليدن ١٨٩٢ ) ٣٢٣ (٣) = ٣٣٥

(٢) اليعقوبي: البلدان ( ليدن ١٨٩٢ ) ٣٣٤

(٤) ابن حوقل: صورة الأرض ( ليدن ١٩٣٨ ) ٣١

وهناك ملاحظة اخرى جديرة بالاعتبار تكشف لنا عن مقدار تأثير الجزيرة العربية بهذه المنطقة من الصحراء الشرقية وبالمنطقة الواقعة الى جنوبها فالاندريسي في وصفة لبلاد البجة يقول « ومن بلاد البجة بلد بختية وهي ايضا قرية مسكونة وبها سوق لا يعول عليها وحولها قوم ينتجون الجمال ومنها معايشهم وهي اكثر مكاسبهم . والى هذه القرية تنسب الجمال البختية وليس يوجد على ظهر الارض جمال احسن منها ولا اصبر على السير ولا اسرع خطى . وهي بديار مصر معروفة بذلك . » (١) فالجمال البختية التي يتفنى العربي بفضائلها هي - كما نرى من هذا النص - من نتاج العدوة الغربية للبحر الاحمر وليست من نتاج الجزيرة العربية . فمثل هذه الظاهرة كانت جديرة ان تلفت صاحب هذا الراى الى ما كان بين الجزيرة العربية وبين العدوة الغربية من البحر الاحمر من صلات ترجع الى عهود بعيدة .

فأمثال هذه الاعتبارات قد دفعت محمد بن فضالة الى ان يضيف هذا الجزء من الصحراء الشرقية الى حدود الجزيرة العربية . ولكن مثل هذا الراى قد يبدو لنا غريبا الآن لان فكرتنا عن الحدود السياسية الحديثة تمنعنا من ان نتصوره ، ولكن يجب ان نذكر ان فكرة الحدود السياسية في الازمنة القديمة لم تكن لتمنع من ذلك . والبدو من شأنهم ان يتقدموا بحدودهم في الاقاليم الحضرية التي تحيط بهم الى اقصى ما يستطيعون والى ان توقفهم قوة الحضر . ومما يحسن ذكره ان حامية الحدود الشرقية التي كان عليها ان تدود البدو عن ارض الحضر في مصر كانت في بعض عصورها عند مدينة أسوان (٢) .

(١) الادرسي : نزهة المشتاق في اختراق الافاق ( مخطوط - صورشمسية .

بمكتبة جامعة الاسكندرية تحت رقم ١٩٤ ) ٣٦

(٢) ينقل ذلك جورجى زيدان عن استرابون وبلين ( العرب قبل الإسلام ١٩٣٩ ) - ١٦٢ . وحتى في العصور الحديثة فان دى بوا - ايميه يصور لنا صورة مما بقى من صور هذه الصلات القوية بين بلاد العرب وصحراء مصر الشرقية ففي مقالة له عن القصر يذكر ان المدينة لايسكنها الا التجار اللذين يقبلون من بلاد العرب ومصر ، وان المدينة ليس لها سكان اصليون . وان المشايخ بها والادارة هم تجار من ينبع تعهدوا بان يقدموا الى الحكومة المصرية حصة مما يجبونه على المتاجر Du Bois-Aymé : Sur la ville de Q'oceyr. (Description de l'Egypte 2ème ed. vol. XI, 385.)

## تقسيم الجغرافيين للجزيرة العربية :

والاسس التي اعتمد عليها الجغرافيون في تقسيمهم للجزيرة العربية  
اساسان :

اما الاساس الاول فيتخذ من اقليم الحجاز وجباله محورا لهذا التقسيم .  
ولعل اللغة العربية قد شاركت في جعل هذا الاساس المتوارث اثر رسوخا في  
الاذهان من غيره ، فذهب اليه اكثر الجغرافيين .

فالحجاز معناه الفاصل او الحاجز حجز بين اقسام الجزيرة وفصل بينها  
واكد هذا الفصل والتقسيم . « قال الخليل سمي حجازا لانه فصل بين الغور  
وبين الشام ، وبين تهامة ونجد (١) . وقال الزبير بن بكار سألت سليمان بن  
عياش السعدي لم سمي الحجاز حجازا فقال لانه حجز بين تهامة ونجد (٢) ،  
قال ابن الكلبي الحجاز ما يحجز بين تهامة والمروء وفيما بين اليمن ونجد (٣)  
فالحجاز هو الذي يفصل بين الشام وبين الغور ، ويفصل بين تهامة والمروء ،  
وبين اليمن ونجد فهو الذي فصل بين هذه الاقسام جميعا وحدد لكل قسم  
منها حيزه الخاص .

والبكرى يعرض لخط التقسيم هذا الذي ظهر في ثوب لغوى فيحاول ان  
يصوغه في اسلوب جغرافي فيقول « وجبل السراة هو الحد بين تهامة ونجد  
وذلك انه اقبل من قعرة اليمن - وهو اعظم جبال العرب - حتى بلغ اطراف  
بوادى الشام ، فسمة العرب حجازا . وقطعته الاودية حتى انتهى الى ناحية  
نخلة ، فمنه خيطى ويسوم - وهما جبلان بنخلة - ثم طلعت الجبال بعد منه  
فكان منه الابيض - جبل العرج - وقدس وآرة ، والاشعر والاجرد - وهما  
جبلان لجهينة . . . وطول السراة ما بين ذات عرق الى حد نجران اليمن -  
وبيت المقدس في غربى طولها - وعرضها ما بين البحر الى الشرف .

فصار ما خلف هذا الجبل في غربيه الى اسياف البحر - من بلاد الاشعريين  
وعك وكنانة - الى ذات عرق والجحفة وما والاها وصاقبها وغار من ارضها :  
الغور ، غور تهامة . وتهامة تجمع ذلك كله . وغور الشام لا يدخل في ذلك .  
وصار مادون ذلك في شرقيه من الصحارى الى اطراف العراق والسماء وما يليها  
نجدا . ونجد تجمع ذلك كله . واعراض نجد هي بيشة ، وترج ، وتباله ،

(١) البكرى : معجم ما استعجم ( القاهرة ١٩٤٥ ) ١٣

(٢) = ١١ (٣) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ( ليدن ١٨٨٥ ) ٢٧ -

والبكرى يورد نفس النص غير انه يضع لفظ اليمامة بدل تهامة ( معجم  
ما استعجم ( القاهرة ١٩٤٥ ) ١١ ، غير أن نص ابن الفقيه أوضح .

والمراغة، ورنبة. وصار الجبل نفسه سراته - وهو الحجاز - وما احتجز به في شرقيه من الجبال وانحاز الى ناحية فيد والجبلين الى المدينة (١) ، ومن بلاد مدحج : تثليث - وما دونها الى ناحية فيد - فذلك كله حجاز . وصارت بلاد اليمامة والبحرين وما والاها : العروض - وفيها نجد وغور ، لقربها من البحر وانخفاض مواضع منها ومسائل اودية فيها - والعروض يجمع ذلك كله . وصار ما خلف تثليث وما قاربها الى صنعاء ، وما والاها من البلاد الى حضرموت والشحر وعمان ومايينها : اليمن - وفيها التهائم والتجود - واليمن يجمع ذلك كله (٢) .

والمقدسى يتأثر كذلك بهذا التقسيم الذى تحمله التسمية اللغوية لاعلام الجزيرة فيأخذ به ، ويصوغه في اسلوب جغرافى ، ويتخذ منه اساسا لتقسيمه مخالفا في ذلك اعلام هذا الفن الذين سبقوه ومعلنا مخالفته لهم في ذلك . فابوزيد البلخى الذى يعتبر امام هذا الفن قد جعل الجزيرة العربية اقليما واحدا ، وهو لم يلتفت الى ما التفت اليه المقدسى من أن جبال الحجاز تقسم الجزيرة قسمة طولية الى اقليمين متمايزين ، وان اقليم الحجاز - الذى يختلف في طبيعته عن اليمن - يقسم هذه الجزيرة - بتمايزه هذا - قسمة عرضية كذلك ، فيكون الحجاز هو القسم الشمالى وتكون بلاد اليمن هي القسم الجنوبى . ولذلك تنقسم الجزيرة العربية الى اربعة اقسام .

والمقدسى لا يفوته ان يدخل الاعتبارات الدينية والفقهية في احتجاجاته ، هذه الاعتبارات التى حرص على مراعاتها في تحديد رقعة بلاد العرب وفي رسم اسمها . « واليمن الجبلية والحجاز . فان قال قائل لم جعلت اليمن والمشرق والمغرب جانبين جانبيين قيل له اما اليمن فالنبي صلى الله عليه وسلم جعلها حيث فرق مواقيتها في الاحرام (٢) . واما خراسان فان ابا زيد جعلها اقليمين وهو امام هذا العلم بخاصته في اقليمه فلا عيب علينا ان جعلناها جانبين » (٤) . ومثل الصفة الذى يضربه ليصور به صورة جزيرة العرب بوضوح لنا كيف

(١) لعل كلمة ( جلس ) او ماشابهها قد سقطت من هذا المكان . فالعنى لا يستقيم الا بمثل ذلك .

(٢) البكرى : معجم ما استعجم ( القاهرة ١٩٤٥ ) ٩/٨ .

(٣) لاهل اليمن ميقاتان تبعا لاختلاف الطريق التى ياتون منها فمن اتى من صنعاء عن طريق نجد فميقاته مع اهل نجد قرن المنازل . ومن اتى من طريق الساحل ( طريق زيد ) فميقاته يللم . فالطريق الاول هو الطريق الشرقى والاخر الغربى ويفصل بينهما جبل السراة .

(٤) المقدس : احسن التقاسيم ( لندن ١٩٠٦ ) ٦٧/٦٨ .

طبقن الطريقة التي ذهب اليها في تقسيم بلاد العرب . فهو قد اعتبر السرير الاول الجنوبي جبال اليمن الذي تقع فيه صنعاء وصعدة وجرش ونجران وارض قحطان . والفضاء الذي يقع الى جانبه من ناحية البحر هو تهامة . والفضاء الذي يقع في جانبه من الناحية المتقابلة هو الاحقاف ومهرة حتى تخوم اليمن . ثم ينبه الى ان من الجغرافيين من يدخل اليمامة وعمان في هذه المجموعة . واما السرير الثاني الواقع الى الشمال من السرير الاول فهو يختلف عنه من ناحية الخصب فالاول ارضه عامرة بالاعشاب والمزارع والثاني جبال كلها باسنة لانبت الامواق المواشى والعضون والثمار . والسرير الثاني هذا هو الحرة وهي تمتد من تخوم اليمن الى قرح اى انها تقع شمال الاقليم الاول ويقع في هذه الحرة مكة والعمق ومعادن النقرة وتلك الجادب . والفضاء الذي يقع في الجانب المقابل اى في الناحية الاخرى هو نجد الحجاز يقع فيه اليمامة وفيد ويدخل فيه هجر . والسرير الاول مع فضائه هو اليمن . والسرير الثاني مع فضائه هو الحجاز (١) .

فهو يقسم بلاد العرب الى يمن وحجاز ثم يقسم كل واحد منهما الى جانب شرقي وجانب غربي واقليم مرتفع في الوسط هو في القسم الجنوبي جبال السراة ، وفي القسم الشمالي حرة الحجاز . واليمامة قد تعتبر من اقليم اليمن الذي يمتد حتى عمان ، وقد تعتبر من اقليم الحجاز الذي يمتد حتى هجر .

فجبال السراة وحرة الحجاز هي المحور الذي يقسم بلاد العرب طولاً . وجبال الحجاز القاحلة التي تختلف عن جبال اليمن والتي يتسع عرضها حتى يشمل اليمامة ونجداً تكون - بعرضها الممتد من الغرب الى الشرق - المحور الذي يقسم بلاد العرب عرضاً فيقع في شماله هجر واليمامة ونجد والجلس ويقع في جنوبه عمان والعروض والاحقاف والشحر واليمن . والحجاز نفسه الذي يفصل بين القسمين يقع في وسط المجموعة الاولى . وعلى ضوء هذه الحقيقة - وهي ان جبال الحجاز تقسم الجزيرة العربية طولاً وعرضاً - نستطيع ان نفهم النصوص السابقة التي اتخذت من الحجاز اساساً للفصل بين جميع اقسام الجزيرة العربية .

واما الاساس الثاني فيدع جانباً قلب الجزيرة وما تحويه من جبال ويتخذ ساحل البحر قاعدة لتقسيم الجزيرة . وابن حوقل والاصطخري يأخذان بهذا الاساس وهما خير من غير عنه . وهما يقسمان الجزيرة على اساس خطوط عرضية تخترق الجزيرة من غربها الى شرقها وتكاد تكون متوازية تقريباً . فهي تقسم الجزيرة الى مناطق مستعرضة يتلو بعضها بعضاً .

(١) سبق ان اوردنا نص المقدسي الذي يمثل فيه صورة جزيرة العرب .

وقاعدة هذه الخطوط تركز الى نقط على ساحل البحر . واول هذه الخطوط هو الخط الذى يمتد من السَّرِين على البحر الاحمر ( وهى ميناء قديمة تقع جنوب جدة بين الليث والتمنفة ) ويتجه نحو الشمال الشرقى الى يلملم ثم شرقا الى الطائف ومنها الى الخليج الفارسى . والخط الثانى يبدأ من مدين ( على البحر الاحمر ، وهى واحة البدع الان وهى قريبة من الطرف الجنوبى الشرقى لخليج العقبة ) ثم يتجه نحو الجنوب الشرقى الى الحجر ، ثم يشرق بعد ذلك الى جبل طى ، ومنهما الى اليمامة ، ثم الى الخليج الفارسى . والخط الثالث يقع شمال الخط الثانى ويحصر بينه وبين الخط الثانى منطقة تمتد من اليمامة شرقا والمدينة غربا وتتقدم شمالا حتى تستغرق حدودها الشرقية بقية سواحل البحرين . والخط الرابع يمتد من بالس غربا الى الانبار شرقا . ويتصل بهذا الخط خطان رئيسيان أحدهما من عبادان الى الانبار ويكون ضلع مستطيل تتجه مساحته الى الغرب حتى يلاقى مساحة المستطيل الاخر الذى يمتد من الغرب الى الشرق وتتكون قاعدته من الخط الثانى الذى يصل بين بالس وأيلة .

فالاقليم الذى يقع جنوب الخط الاول هو اليمن . والاقليم الذى يقع الى شماله هو الحجاز . والاقليم الذى يقع بين الثانى والثالث هو نجد . والاقليم الذى يقع شمال الخط الرابع هو بادية الجزيرة . والاقليم الذى يقع غرب الخط الاول المتصل به هو بادية العراق . والاقليم الذى يقع شرق الخط الثانى المتصل بالخط الرابع هو بادية الشام .

« فما كان من حد السرين حتى ينتهى على ناحية يلملم ثم على ظهر الطائف ممتدا على نجد اليمن الى بحر فارس مشرقا فمن ايمن ويكون ذلك نحو الثلثين من ديار العرب . وما كان من حد السرين على بحر فارس الى قرب مدين راجعا فى الشرق على الحجر الى جبل طىء ممتدا على ظهر اليمامة الى بحر فارس فمن الحجاز ، وما كان من اليمامة الى قرب المدينة راجعا على بادية البصرة حتى يمتد على البحرين فمن نجد . وما كان من حد عبادان الى الانبار مواجه لنجد على ديار اسد وطى وتميم وسائر قبائل مضر فمن بادية العراق وما كان من حد الانبار الى بالس مواجه لبادية الشام على ارض تيماء وبرية خساف الى قرب وادى القرى والحجر فمن بادية الجزيرة . وما كان من بالس الى ايلة مواجه للحجاز على بحر فارس الى ناحية مدين معارضا لارض تبوك حتى يتصل بديار طىء فمن بادية الشام . على أن من العلماء

بتقسيم هذه الديار من زعم أن المدينة من نجد لقربها منها وأن مكة من تهامة اليمن لقربها منها " (١) .

ففي عهد التقسيم اتخذ ابن حوقل والاصطخري الساحل أساسا لتقسيمهما إذ كان كأن نظام الملاحه هو الذي يميز المناطق الساحلية بعضها عن بعض وبالتالي فهو يميز المناطق الداخلية كذلك . فنظام الملاحه في جنوب البحر الاحمر حتى السرين أو جدة يختلف عن نظامها في شماله لاختلاف نظام الرياح . ونظام الملاحه في خليج العقبة يختلف عن نظامها في قسوى البحر الاحمر فكانت السرين ومدین نقطتين فاصلتين بين نظم الملاحه في البحر الاحمر فصلت لذلك بين المناطق الداخلية في الجزيرة (٢) .

ولتحاول الآن ان نتبين المنطقه الداخليه التي اعتبرت حدودها اساسا يعترف به في تقسيم الجزيرة العربية وتمييز اقسامها .

#### الحجاز :

فيه الغناء من كلمة « الحجاز » معنى « الحجز » فهو يحجز بين تهامة والعروض ونسب بين اليمن ونجد كما يقول ابن الكلبي (٣) أو يحجز فيما بين نجد والسرّة كما ينقل ابن دريد (٤) ، أو يحجز فيما بين القور وبين الشام وفيما بين تهامة ونجد كما يرى الخليل (٥) . غير أن البعض لم يفهم من مدلول التسمية معنى الحجز بل فهم منها شيئاً آخر وهو الاحتجاز بمعنى شدد الوسط بالحجرة أو بالحجاز . فالجبل وكل ما تشد به وسطك لتشمر ثيابك

١- ابن حوقل : صورة الأرض ( لندن ١٩٣٨ ) ٢٠/٢١ - الاصطخري مسالك الممالك لندن ١٩٢٧ ١٤/١٥ .

٢- بعض الجغرافيين من العرب مثل الإدريسي قد اتبع نظرية الاقاليم السبعة في وصف الجزيرة العربية فوعدت في الجزء الخامس من الاقاليم الاول وفي الجزئين الخامس والسادس من الاقليمين الثاني والثالث . ولما كانت مثل هذه الطريقة لا تمرض لجزيرة العرب عرضا خاصا باعتبارها اقليما مستقلا فلم تنسب الى هذا المنهج في تقسيمها إذ هو جزء من النظرية العامة في تقسيم العالم المعمور .

٣- ابن الفقيه : مختصر البلدان ( لندن ١٨٨٥ ) ٢٧ - البكري : معجم

ما استعجم : القاهرة ( ١٩٤٥ ) ١٠ .

(٤) = ١١

(٥) = ١٢

حجاز (١) . وإلى هذا ذهب بعض من روى عنهم البكري فقال « سُمِّيَ حجازاً لأنه احتجز بالجبال ، يقال احتجزت المرأة إذا شددت ثيابها على وسطيها ، وأبرزت عجزتها وهي الحُجْزة » (٢) . وإلى هذا المعنى ذهب ابن السكيت في نقله عن الاصمعي فيقول « ما ارتفع من بطن الرمة فهو نجد إلى ثنانيا ذات عرق . وما احتزمت به الحرار : حرة شؤران وحرة ليلى وحرة واقم وحرة النار وعمامة منازل بنى سليم إلى المدينة ، فما احتاز ذلك الشق حجاز كله » (٣) . وصاحب المحيط يستعمل أصلاً كلمة احتجزت بدلاً من احتزمت فيقول « لأنها احتجزت بالحرار الخمس حرة بنى سليم وواقم وليلى وشؤران والنار » فهذه الحرات هي سلسلة تتتابع من الجنوب إلى الشمال ويكون متوسط اتساعها مسيرة ليلتين سريعتين أو ثلاث (٤) .

فبلاد الحجاز قد احتزمت بالجبال أو بالحرار فسميت حجازاً ، أو قد حجزت جبالها وحرارها بين نجد والسراة أو بين نجد واليمن أو بين نجد وتهامة أو بين الشام والقوقر فسميت لذلك حجازاً .

والحجاز حجازان : الحجاز الاسود ، وحجاز المدينة (٥) . أما الحجاز الاسود فهو سراة نقيف أو السراة الثالثة ، تبدأ بعد انتهاء السراة الجنوبيتين سراة الازدي في قعر اليمن ، وسراة فهم وعدوان فيما يليها (٦) . فإذا انتهت هذه السراة الثانية عند جبل ثلثيت بدأت السراة الثالثة واستمرت حتى الطائف . وعند ذلك يبدأ الحجاز الثاني حجاز المدينة . وهو سلسلة من الحرات تتتابع من الجنوب إلى الشمال حتى منطقة تبوك . ولكن في منتصف المسافة بين مكة والمدينة أو مايقرب من ذلك عند نقطة يقال لها العرج ( عرض ٢٣ ) يبلغ ذلك الحجاز الثاني نهايته أيضاً وبانتهائه ينتهي الحجازان « طول الحجاز من حد العرج إلى السراة » (٧) . وإذا قد انتهى الحجازان يبدأ قسم ثالث من اقليم الحجاز وإن كان يتخذ تسمية مخالفة فيعرف بالجلس

(١) القاموس المحيط .

(٢) البكري : معجم ما استعجم ( القاهرة ١٩٤٥ ) ١١

(٣) = ١٤

(٤) هذا التقدير هو تقدير النضر بن شميل ( ياقوت : معجم البلدان - مادة « حرة » ) .

(٥) البكري : معجم ما استعجم ( القاهرة ١٩٤٥ ) ١٣ .

(٦) ابن الفقيه : مختصر البلدان ( لندن ١٨٨٥ ) ٣١ .

(٧) = ٢٧ .

ويبدأ عند عقبة العُرج ويتجه الى الشمال حتى اقليم الجنباب وتبوك .  
والتقسيم الساحلى منه تحفه جبال هى امتداد الجبال الشمالية المعروفة  
بالشراة والحصمة والمتصلاً بجبال الشام « والعُرج ايضا عقبة بين مكة والمدينة  
على جادة الحاج تذكر مع السقييا - عن الحازمى - وجبلها متصل بجبل  
لبنان (١) .

فالحجاز هو الحجاز الاسود ، وهو الجزء الشمالى من سلسلة جبال  
السراة ، يبدأ من جبل تليلث فى الجنوب ويمتد الى الطائف فى الشمال ، ثم  
حجاز المدينة وهو سلسلة من الحرات ويحمل اسم الحجاز حتى عقبة العُرج ،  
ثم الاقليم الثالث وهو بقية اقليم الحرات الذى يحمل اسم الجلس ، ثم الجنباب  
ويمتد حتى تبوك او معان شمالا .

#### حد الحجاز الجنوبى :

يتكون الحجاز الجنوبى من ثلاث مناطق متجاورة تمتد من الشمال الى  
الجنوب فى موازاة الساحل ، ويقع عند نهاية كل واحدة منها خُط الحدود  
الذى يفصل بين الحجاز واليمن من قبيلها . وهذه المناطق الثلاث هى : المنطقة  
النجدية الداخلية - جبال السراة المتوسطة - تهامة او منطقة الساحل  
الخارجية .

وخط الحدود فى المنطقة النجدية المحصورة بين سلسلة جبال السراة  
وبين رقلة يبرين ( الربع الخالى ) يحدده لنا أكثر الجغرافيين عند بلدة يقال  
لها « الهجرية » او « المهجرة » عند شجرة تسمى « طلحة الملك » . « ثم الى  
سروم راح : منازل الطريق من مكة الى صنعاء ) قرية عظيمة فيها عيون وكروم ،  
وجرش منها على ثمانية أميال ، ثم الى المهجرة ، قرية عظيمة فيها عيون .  
وفيما بين سروم راح والمهجرة طلحة الملك شجرة عظيمة تشبه الغرب غير أنها  
اعظم منه وهى الحد ما بين عمل مكة وعمل اليمن » (٢) . والنص الذى ينقل  
عن قدامة والذى يتفق مع نص ابن خرداذبة هذا يضيف « وكان النبى صلى  
الله عليه وسلم حجز بها بين اليمن ومكة » (٣) والادريسى فى منازل الطريق  
بين مكة وصنعاء يذكر هذا الحد كذلك مع وضعه طلحة الملك فى قرية المهجرة  
نفسها . « ومن سروم الى المهجرة وهى قرية عظيمة فيها عيون وفيها بئر  
بعدها الثغر غزيرة الماء ، وبهذه القرية شجرة عظيمة تسمى « طلحة الملك »

(١) ياقوت : معجم البلدان - مادة « العرج » .

(٢) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ( ليدن ١٨٨٩ ) ١٣٥ .

(٣) قدامة : الخراج ( ليدن ١٨٨٩ ) ١٨٩ .

تشبه شجر الخلاف غير أنها اعظم منها وهي حد ما بين عمل مكة واليمن « (١) والبكرى في وصفه حدود اليمن يقول « وحدها الثالث طلحة الملك الى شرون ، وشرون من عمل مكة » (٢) فهو يذكر شرون بدلا من سروم راجح وقدامة يكتبها كذلك سروم راجح .

ونستطيع أن نستخلص السبب الذي من اجله صارت طلحة الملك هذه الحد بين الحجاز واليمن من نص لابن خرداذبة « فمن صنعاء الى خيوان أربعة وعشرون فرسخا ، ومن خيوان الى صدرة ستة عشر فرسخا ، ومن صدرة الى المهجرة ، وهي تحت عقبة المنضح عند طلحة الملك التي هي اول عمل اليمن عشرون فرسخا . فبين المهجرة وصنعاء ستون فرسخا » (٣) فالمهجرة وطلحة الملك تحت « عقبة المنضح » القادم من اليمن وهما دون هذه العقبة القاد من مكة صاعدا نحو اليمن . فعقبة المنضح هذه هي الحد بين الحجاز واليمن . والذي اتيح له أن يحدد عقبة من عقبات البادية يستدلح ان يدرك تماما كيف تكون العقبة فاصلا بين اقليم وآخر .

وخط الحدود هذا الذي يقع اسفل عقبة المنضح ويعبر بالمهجرة او طلحة الملك يتكون من مجموعة من البلاد بعضها في غرب طلحة الملك وبعضها الى الشرق منها ، ويتضح لنا ذلك من وصف الهمداني لحجة صنعاء عن طريق نجد فالقادم من صنعاء الى نجد يصل بعد تمام خمسة عشر يوما او بعد ان يكون قد قطع ١٨٠ ميلا الى بلدة كتنة وهي اول حد الحجاز ، وتقع على خط عرض واحد مع جرش التي تقع في غربيها على مسافة اقل من يوم ، ومع الهجيرة وتثليث اللتان تقعان الى الشرق من كتنة على مسيرة يوم كذلك . وخط العرض الذي تقع عليه كتنة كما ذكره الهمداني (٤) هو ١٧°١٠' . فالهجيرة التي يذكرها الهمداني هي المهجرة التي ذكرتها النصوص الاخرى . غير ان لفظ « الهجيرة » هو الاصح فيما يظهر . والراجح ان ابن خرداذبة وقدامة والادريسي قد خلطوا بين « الهجيرة » هذه التي هي نفطة الحدود وبين « المهجرة » التي تقع جنوبها في ارض اليمن بمقدار ٧٢ ميلا تقريبا . كما خلطوا بين سروم راجح التي هي على الحدود وبين سروم الفبيض التي تقع الى الجنوب بمقدار ٥٠ ميلا ، كما يتضح ذلك من مقارنة منازل الطريق بين صنعاء ومكة عند هؤلاء وعند الهمداني .

- 
- (١) الادريسي : نزهة المشتاق ( مخطوط ) الاقليم الثاني الجزء الخامس :  
 (٢) البكرى : معجم ما استمعجم ( القاهرة ١٩٤٥ ) ١٦ .  
 (٣) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ( ليدن ١٨٨٩ ) ١٢٥ .  
 (٤) الهمداني : صفة جزيرة العرب ( ليدن ١٨٨٤ ) ٧/١٨٦ .

وتثليث هذه التي تقع على خط الحدود السابق ولعلها كانت أبعد نقطة فيه الى جهة الشرق قد سمي باسمها الجزء الجنوبي من نجد الحجاز ، كما سمي الجبل الذي يقع خلفها والذي نجده في الخرائط الحديثة باسم جبل تثليث . والبكرى يتخذ تثليث هذه منطقة الحدود في بعض تحديداته . « وصار ماخلف تثليث وما قاربها الى صنعاء وما والاها من البلاد الى حضرموت والشحر وعمان وما بينهما اليمن - وفيها التهائم والنجود - واليمن يجمع ذلك كله » ( ١ ) .

ولكى نستطيع ان ندرك موقع هذا الحد من مكة التي هي ابرز نقطة في الحجاز نذكر منازل الطريق بين هذا الحد وبينها : من كتنة الى يميم ٢٠ ميلا - ثم الى بنات حرب ٢٠ ميلا - ثم الى الجسدياء ٢٢ ميلا - ثم الى بيشنة بنعطان ٢١ ميلا - ثم الى تبالة ١١ ميلا - ثم الى القريحا ٢٢ ميلا - ثم الى كرى ١٦ ميلا - ثم الى ثرية ١٥ ميلا - ثم الى الصفن ٢٢ ميلا - ثم الى الفتق ٢٢ ميلا . والفتق هذه على خط عرض واحد مع الطائف ومكة . فالطائف ومكة تقعان الى الغرب منها . اما الطريق فليس هناك طريق ينحدر منها الى مكة ولكن يسير الطريق شمالا الى راس المناقب التي تبعد عن الفتق ٢٢ ميلا ، ثم يعود فينحدر الى الجنوب والغرب حتى قرن المنازل فمكة ( ٢ ) .

وخط الحدود في منطقة تهامة الساحلية يضعه الجغرافيون عند حصن السرئين الواقع على ساحل البحر ثم يمتد هذا الخط الى الشرق حتى ينتهي على ناحية يلملم ثم على ظهر الطائف ممتدا على نجد اليمن « فما كان من حد السرئين حتى ينتهي على ناحية يلملم ثم على ظهر الطائف ممتدا على نجد اليمن الى بحر فارس مشرقا فمن اليمن . ويكون ذلك نحو الثلثين من ديار العرب . وما كان من حد السرئين على بحر فارس الى قرب مدن راجعافى المشرق على الحبحر الى جيلى طيء ممتدا على ظهر اليمامة الى بحر فارس فمن الحجاز » ( ١٢ ) : وبحر فارس هنا يشمل الخليج الفارسي وبحر اليمن والبحر الاحمر ) .

- (١) البكرى: معجم ما استعجم ( القاهرة ١٩٤٥ ) ٩
- (٢) هذا التقدير هو تقدير الهمداني وقد رجحناه على غيره .
- (٣) ابن حوقل : صورة الارض ( ليدن ١٩٢٨ ) ١٩ - الاصطخرى : مسالك الممالك ( ليدن ١٩٢٧ ) ١٤ .

وهذا الحد يقع الى الشمال كثيرا من الحد السابق فهو اذا ارتفع الى الجبل فانما يرتفع الى ظهر الطائف اى فى الجزء الشمالى من سراة ثقيف . والسبب فى اتخاذ هذا الخط حدا بين الحجاز واليمن من هذه الناحية يرجع الى اعتبارين .

فطبيعة السُرَّين تجعل منها نقطة عسكرية وبحرية تتحكم فى الطريق البرى وفى طريق النقل البحرى بين اليمن والحجاز، ويصف ذلك الادريسى فيقول «والسُرَّين حصن حصين حسن موضعه، كثيرة مياهه ولو اليه وجايه شىء معلوم ورسم لازوم على المراكب الصاعدة والنازلة من اليمن بالتجارات والمتاع والريق . وجباياته المحصلة يصل نصفها الى صاحب تهامة ونصفها الثانى الى صاحب مكة الهاشمى » (١) . وبمقارنة وصف هذا الميناء يوصف الموانى الاخرى التى تقع فى نفس الساحل مثل حائى وضنكان والسقيفة نجد انها هى الحدن الحصين والميناء الامين فيما بين تهامة واليمن .

وهذا الحصن يقع خلف جبل يللم الذى يعترض الطريق الساحلى الواصل بين الشمال والجنوب فهذا الجبل الذى يمتد من الشرق الى الغرب شمال السُرَّين يحول دون سيطرة الحجاز على هذا الحصن .

والبحر الاحمر من حيث الملاحة والرياح ينقسم الى منطقتين احدهما شمالية والاخرى جنوبية ويفصل بين المنطقتين خط عرض جدة . فأصبحت السرين من ناحية الملاحة تتصل بالموانى الجنوبية فى نظامها وتختلف عن الموانى الشمالية التى هى معظم موانى الحجاز .

فخط الحدود يمتد من «السُرَّين حتى ينتهى على ناحية يللم ثم على ظهر الطائف» . ومعنى ذلك انه يتجه من السرين نحو الشمال الشرقى . والذى دعا الى تقدمه هذا هو جبل يللم الذى يعترض من الشرق الى الغرب والذى يتصل بسراة ثقيف .

وخط الحدود فى منطقة جبال السراة - وهى المنطقة الوسطى التى تقع بين المنطقتين السابقتين - يختلف تبعا لاختلاف موقعه فى هاتين المنطقتين . فالحد الاول الذى يتخذ الهجيرة نقطة امتداده يمتد منها غربا على جبال السراة فيصعد الجبل عند عثُر ثم يميل الى الشمال قليلا ويهبط الى سطح البحر عند ميناء حَمَضَة التى تقع الى جنوب حائى وبالتالي جنوب السُرَّين . وهذا هو تحديد الهمداني الذى ينقله عنه ياقوت «فالى حدود الهجيرة وتثليث وكنته وجرش ومنحدرا فى السراة الى شعف عثُر - وشعف الجبل اعلاه - الى تهامة الى ام جحدم الى البحر الى جبل يقال له كرمل بالقرب من حَمَضَة

(١) الادريسى : نزهة المشتاق (مخطوط) الاقليم الثانى الجزء الخامس .

— وذلك حد ما بين كنانة واليمن من بطن تهامة « (١) . والحد الثانى الذى يتجه من السرين شمالا يندخل السراة الثانية سراة بنى عقيل فى حدود اليمن، ثم يمضى بهذه الحدود شرقا فيدخل فيها البحرين وهجر « وقيل هجر قصبه البحرين وقد عندها قوم من اليمن « (٢) .

#### حد الحجاز الشمالى :

بذلت قبل الآن بعض المحاولات الحديثة لتخطيط الحد الفاصل بين شمال الحجاز وجنوب الشام وكانت النصوص العربية القديمة عنصرا أساسيا فى هذا التخطيط .

وأول هذه المحاولات محاولة لامانس وانتهى فيها الى وضع الحدود بين سوريا والحجاز فى المنطقة الواقعة قريبا من واحة العلا فى جنوبها (٣) . وهذه الفكرة يراها صاحب المحاولة الثانية — وهو Alois Musil (٤) — فكرة لامعة لمن ينظر إليها نظرة سطحية ولكنها اذا بحثت على ضوء التفاصيل وجدت غير صحيحة من وجهة النظر العلمية . فصاحبها لم يميز بين الحدود السياسية والحدود الجغرافية كما أنه لم يهر النصوص اللاتينية واليونانية أى اهتمام وكما أنه لم يشرح النصوص العربية بأمانة . ويذهب موزيل بعد ذلك الى وضع الحدود الشمالية للحجاز عند السفح الجنوبى لجبال الشراة ، حيث وضع بطليموس الحد الشمالى لبلاد العرب السعيدة . ويرى موزيل بعد ذلك أن النصوص العربية رغم ما بينها من اختلافات — نتجت عن تغير الحدود السياسية فى بعض العصور — فإنه يستخلص منها جميعا أن الحد الجغرافى للحجاز من ناحية الشمال هو المنحدر الجنوبى لسفح جبل الشراة كما حدده بطليموس قبل ذلك .

ويبدو لى أنه قد كان للحجاز أكثر من حد واحد أو بمباراة أخرى أن حدود الحجاز كانت ثلاث نقط . تقع كل واحدة منها على رأس شعبة من الشعب الثلاث التى تصل بين الحجاز والشام . وأولى هذه الشعب تمتد على ساحل البحر وهى الشعبة الغربية ؛ والثانية تسير فى المنخفض الرئيسى بين المدينة والعلا الى تبوك ومعمان — هذا المنخفض الذى كانت تسير فيه سكة

(١) ياقوت : معجم البلدان — مادة « يمن »

(٢) = مادة « البحرين » .

H. Lammens : *L'ancienne frontière entre la Syrie et le Hidjaz* (٣)  
(B.I.F.A.B. vol. XV, 69 ff).

The Northern Hegaz (New York 1926) 257 (٤)

حديد الحجاز - وهذه الشعبة هي الشعبة الوسطى ، والشعبة الثالثة تسير مع الطريق الواصل بين سلسلة الواحات التي تكونها خيبر وذلك الى تيماء ثم دومة الجندل وهذه الشعبة هي الشعبة الشرقية .

فحدود الحجاز كانت تنتهى في الشعبة الغربية الساحلية الى مدينة مدين ( التي توجد بقاياها الآن تحت اسم واحة البَدْع ، وهي أقصى ماتصله في الشمال من ناحية الساحل ثم تميل بعد ذلك الى الجنوب والجنوب الشرقي مع طريق الحاج المصرى حتى شتنب وبدًا والسقيا الى أن تصل الحِجْر ثم وادي القرى . وابن حوقل والاصطخري اللذان يتخذان ساحل البحر اساسا لتفصيل أقسام الجزيرة العربية يؤكدان لنا ذلك في وضوح « وما كان على حد السرين على بحر فارس ( يطلق على البحر الاحمر وبحر اليمن والخليج الفارسي بحر فارس ) الى قرب مدين راجعا في المشرق على الحجر الى جبل طيء ممتدا على ظهر اليمامة الى بحر فارس فمن الحجاز » (١) فالطريق الواصل من مدين الى الحجر أسفل الجبال والذي يكون الحد الشمالي للسهل الساحلي للحجاز يمر بشتنب وبدًا وهذا يشرح لنا نص البكري الذي يحدد به الحد الشمالي للحجاز « وحد الحجاز الاول بطن نخل وأعلى رمة وظهر حرة ليلى والثانى مما يلي الشام شتنب وبدًا . والثالث مما يلي تهامة بدر والسقيا ورهاط وعكاظ والرابع مما يلي ساية ووذنان » (٢) .

وطريق الحاج المصرى يفضل لنا هذا الخط اكثر من ذلك . فمنازل المحجة تمر بالنقط الرئيسية في هذا الحد وهي كما يذكرها ابن رسته وابن خرداذبة وقدامة تتكون من المراحل الاتية : مدين - اغراء - منزل - الكلابة - شغب - بدا - السرحتين - البيضاء - وادي القرى . واليعقوبى الذى يذكر منازل هذا الطريق بشيء من الاختصار قد حفظ لنا - من حسن الحظ - اسم هذا المنزل المجهول لدى أصحاب التحديد الاول . فهو يقول من مدين الى منزل يقال له اغراء ثم الى قالس ثم شغب ثم بدا ثم السقيا . فهذا المنزل المجهول هو قالس . والبيضاء هذه المدورة قبل وادي القرى هي احدى منازل الحجر .

واما في الشعبة الوسطى فان حدود الحجاز تمتد الى الشمال بعد النقطة التي تقع على محاذاة « مدين » فتبوك تقع على محاذاة مدين « ومدين على بحر القلزم محاذاة لتبوك على نحو ست مراحل » (٣) . والحدود بين الحجاز

- 
- (١) ابن حوقل : صورة الارض ( ليدن ١٩٢٨ ) ١٩ - الاصطخري : مسالك الممالك ( ليدن ١٩٢٧ ) ١٤ .  
(٢) البكري : معجم ما استعجم ( القاهرة ١٩٤٥ ) ١١ .  
(٣) ابن حوقل : صورة الارض ( ليدن ١٩٢٨ ) ٣٢ .

والشام تقع الى الشمال منها . فابن حوقل نفسه - والاصطخري كذلك - حين يذكر ان تبوك يقولان « وتبوك بين الحجر وبين اول الشام على اربع مراحل في نحو نصف طريق الشام وهي حصن » (١) . فتبوك بينها وبين اول الشام اربع مراحل . فاذا كانت في محاذاة مدين فحدود الحجاز تمتد اذن في الشعبة الوسطى - الى الشمال - مقدار اربع مراحل شمالا بعد نقطة في حدود الشعبة الغربية . والنقول شيرة في اعتبار حدود الشام فيما وراء تبوك واعتبار تبوك من الحجاز « وحد الشام ما وراء تبوك وتبوك من الحجاز » (٢) .

والطرف النهائي لهذه الشعبة لم تحدد المصادر العربية تماما وذلك لان الطريق فيما بعد تبوك الى الشام يكاد يكون قفرا او تكاد تكون منازل غير واضحة عند الجغرافيين . فهم يذكرون منازل هذا الطريق الذي يسلكه الحاج الشامي على النحو الآتي : دمشق - منزل - مشر - ذات المنازل - سرغ - تبوك . وسرغ هذه تذكر في تاريخ الفتوح الاسلامية فيذكرون ان ابا عبيدة سار بجيش المسلمين الى سرغ ومن هناك سار الى الشام . فكان سرغ هذه كانت في حدود العرب .

واري ان النهاية الشمالية للحدود من هذه الناحية كانت الى الشمال قليلا ولكن الى الشمال الغربي فقد كانت تنتهي في اغلب الاحيان الى واحة معان .

واما في الشعبة الشرقية فقد كانت حدود الحجاز تتقدم نحو الشام مسيرة ثلاثة ايام من واحة تيماء ، هذه الواحة التي تقع على الطرف الغربي لصحراء النفود المسمى عند العرب برمل الهيمر او برمل عالج . « وتيماء حصن عامر بنيته ازية وهو اعمر من تبوك وبينهما اربع مراحل . وبين تيماء واول الشام ثلاثة ايام . وتيماء مياه ونخيل ومنه تمتاز البادية (٣) . واذا اردنا ان نعين المنطقة التي تنتهي اليها الحدود من هذه الناحية فنستطيع ان نضعها في المنطقة التي يقرب فيها الطرف الغربي للنفود من جبل الطيبين والتي تكاد تفصل وادي السرحان وواحة الجوف ( دومة الجندل ) عن منطقة تيماء .

والسبب الذي من اجله صارت الحدود الشمالية للحجاز على هذه الصورة نستطيع ان ندركه اذا تبهنا الى بعض الاعتبارات . فجبال الحسمى

---

(١) ابن حوقل : صورة الارض ( ليدن ١٩٣٨ ) ٢٢١ - الاصطخري : مسالك الممالك ( ليدن ١٩٢٧ ) ٢٠ - الادريسي : نزهة المشتاق ( مخطوط ) الاقليم الثالث الجزء الخامس وهو يذكر نفس النص تقريبا .

(٢) البكري : معجم ما استعجم ( القاهرة ١٩٤٥ ) ١٢ .

(٣) الادريسي : نزهة المشتاق ( مخطوط ) الاقليم الثالث الجزء الخامس .

وجبال الشراة تقسم الجزء الشمالى من الحجاز الى ثلاث مناطق تكاد تكون منفصلة ، يستقل بعضها عن بعض ، والاعتبارات المختلفة من جغرافية وسياسية واقتصادية قد دفعت نقطة الحدود فى كل منطقة منها الى مدى يختلف فى كل واحدة منها عنه فى الاخرى .

منذ أوائل القرن العاشر قبل الميلاد تقريبا والتنافس الدولى يدفع الى السيطرة على ممرات التجارة العالمية فى هذه المنطقة . فسلیمان وحليفه الفينيقي حرام حاولا السيطرة على الطريق البحرى الذى يصل بين سواحل اليمن وسيناء ايلات ( عصيون جبر بعد ذلك أو ايلة أو العقبة حديثا ) وقد استطاعا كما استطاع من بعدهما يوشافط ( ٨٤٩/٨٧٣ ق.م ) وامازية وابنه عزيرته ( ٧٧٩/٧٤٠ ق.م ) - وغيرهم من ملوك يهود - أن يسيروا على هذا الطريق الشمالى . وكان على الدول التى خلفت - بعد ذلك - دولة يهودا وفينيقيا فى منطقتيهما أن تتابع نفس هذه السيطرة على الطريق ، وأن تؤكد هذه السيطرة بكافة الوسائل السياسية والاقتصادية والعسكرية (١) . وفى نفس الوقت كان ملوك سبأ وخلفاؤهم من ملوك معين الذين كانوا يتحكمون فى التجارة الجنوبية لبلاد العرب يحرصون على السيطرة على طريق النقل البرى الرئيسى الذى يصل بين الجنوب والشمال بين مأرب فى جوف اليمن وبين ديدان ( العلاء ) ومعان فى الشمال (٢) ، وكان على خلفائهم من بعدهم أن

يتابعوا هذه السيطرة . وفى نفس الوقت كذلك كان الآشوريون يحاولون السيطرة على هذه الطرق الرئيسية للتجارة العالمية وتحولها الى ناحيتهم وذلك بالسيطرة على النقط المركزية فى قلب الجزيرة العربية وربطها بمصالحهم والنفاذ عن طريقها الى ساحل البحر الاحمر . وكانت دومة الجندل ( واحة الجوف ) وتيماء والقبائل الضاربة حولهما هدف هذه السيطرة ليتحكموا بذلك فى طريقى النقل البرى والبحرى . ففى عهد تفلان بلازر الرابع ( ٧٤٦/٧٢٧ ق.م ) اضطرت الملكة زيبى سيدة دومة الجندل أن تدفع الجزية له وتعترف بسلطانه . كما اضطرت كذلك - فى عام ٧٣٢ ق.م - الملكة شمشى ملكة احدى الواحات المجاورة أن تعترف بسلطانه وأن تقبل فى وادعها مقيما سياسيا من قبله ، ولكنها حين حاولت أن تنحرف الى عدوه شردها فاضطرت

(١) من امثلة ذلك محاولة الرومان استمالة امرىء القيس سيد جزيرة تيران ( ابوتاب ) واقليم مدين بدعوته الى النصرانية وزيارة القسطنطينية بدعوة من الامبراطور ليو ومنحه لقب فيلارك عام ٤٧٣ .

Musil: The Northern Hegaz (New York 1926) 243 ff. (٢)

القبائل الساكنة في تيماء وماحولها ان تدفع له الجزية مباشرة (١) . وقد تابع البابليون - بعد ذلك - ومن بعدهم الفرس نفس هذه السياسة . غير أن ميدن سيطرتهم ونفوذهم كان الى الجنوب من المنطقة السابقة وذلك لان مملكتهم كانت تقع الى الجنوب بالنسبة لمملكة الآشوريين فكان طريق سيطرتهم يقع الى الجنوب من صحراء النفود فاعتمدوا على قبيلة طى ثم على كنده بعد ذلك (٢) .

وطبيعة هذه المنطقة الجغرافية كانت تلعب دورا هاما في حفظ التوازن والمنافسة بين هذه القوى الثلاث المتطاحنة . فجبال الحسمى والشراة تفصل الساحل عن الاخدود الرئيسي الاوسط الذي يشغله الطريق البرى الرئيسى بين الجنوب والشمال ؛ ومناطق الحرة الوعرة حرة الرجلاء وليلى وخيبر تفصل خط الواحات ( تيماء . فذك . خيبر ) عن الطريق الرئيسى للاوسط ، وتلتحق هذه الواحات باقليم البادية ونجد .

حقا ان هذه الطرق تكاد تقع تحت رحمة منطقة مركزية في الجنوب تستطيع التحكم فيها . وهذه المنطقة هى منطقة المدينة ، او منطقة القرع ( الملا ) القريتان منها . فوادى اضم - الذى ينحدر من حرة خيبر غربا ثم يتجه الى الجنوب والجنوب الغربى حتى يصل الى المدينة ويتجه بعد ذلك الى الشمال حتى واحة ديدان ثم ينحدر صوب الغرب فيصب في البحر الاحمر عند الوجه ( قريبا من ميناء العويند ) والذى يعرف الان بوادى الحمض - يمكن من السيطرة على الطرق الثلاثة . فواحة ديدان تسيطر على طريق النقل لرئيسى وهو الطريق الاوسط . والشعبة الغربية لوادى اضم تمكن من السيطرة على اقليم الساحل وموانيه حتى مدين . والشعبة الشرقية منه تمكن من السيطرة على خيبر ثم بعد ذلك على فذك وتيماء . وقد تستطيع القوة التى تسيطر على واحة ديدان ( الملا ) ان تدفع سيطرتها ابعد من ذلك حتى معان فتتخذ منها مركزا تسيطر به على النهايات الشمالية لهذه الطرق

Musul : Arabia Deserta (New York 1927) 477 ff.

(١)

(٢) كانت كنده تسكن الى الشرق والى الجنوب قليلا من منازل طى في السكان المعروف بالشرف وهو يقع الان تقريبا بين الرياض وحائل مع ميل قليل الى الغرب . ولا يخفى النزاع بين الفرس والروم للسيطرة على كنده وذيبيان وكتب وعيس وطي لوسط نفوذهما على هذه المنطقة . وامرؤ القيس سيد جزيرة تيران واقليم مدين كان حليفا للفرس اول الامر قبل ان يستميله الروم اليهم .

تستطيع من معان التحكم في الطريق القريب وذلك بالسيطرة على ايلات ( ايلة او العقبة ) اذ يمكن الوصول اليها بواسطة الطريق الذي يربط بينهما خلال وادي اليتم والذي يمر بجبل سعيم ( الجزء الشمالي من الرارة ) . كما تستطيع السيطرة على طريق تيماء بالتحكم في دومة الجندل خلال الطريق الواصل بينهما شمال جبل الطبيق وشمال الحرات على الطرف الجنوبي للبلقاء او بادية الشام . وبذلك ينتقل خط الحدود الفاصل بين الحجاز والشام الى الخط الواصل من ايلة الى معان الى دومة الجندل ، والذي يستند طرفه القريب الى البحر وطرفه الشرقى الى النفود . ولكن طبيعة هذه المنطقة لا تجعل مثل هذه السيطرة امرا سهلا . فهذه الجبال الوعرة التي يصعب فيها الاتصال قد حالت دون تماسك هذه المنطقة وجعلتها مسرحا لقبائل او لشعوب صغيرة يعيش بعضها في عزلة وفي نزاع مستمر مع البعض الاخر . ففيها كان العمونيون والمؤابيون ، واهل ادوم وسعيم ، وثمود واصحاب مدين ، والانباط وسكان طور بعل وغيرهم من امثال هذه الاقليات المستقلة المتعادية . فنتج عن ذلك تفكك هذا الاقليم وظهور المدن او المقاطعات التي تعيش في حماية الحصون . وان المظهر الوحيد للتعاون بين مدن هذه المنطقة مقصورا على اتصال كل مدينة او منطقة في الطريق الداخلى الرئيسى بنقطة تقع في حداثها على الساحل لتكون بمثابة حصن لها . او على العكس من ذلك كان مقصورا على اتصال حصون الساحل بنقط مركزية في الطريق الداخلى لتموين هذه الحصون وتصريف تجارتها في داخل الجزيرة . فكانت كل مدينة داخلية مع فرضتها على الساحل ، او كل حصن ساحلى مع نقطة ارتكازه في الاقليم الداخلى تكون وحدة متماسكة مستقلة يقوم وجودها على حساب غيرها من هذه الوحدات .

ونستطيع ان نزيد ذلك وضوحا باستعراض هذه الصلات . فقد اتصلت معان بابلات خلال وادي اليتم ، واتصلت ساع ( بئرا ) بايلة ( ايلات او العقبة ) خلال وادي العربية ، واتصلت تبوك بمدين ( واحة البدع الان ) عن طريق ممر شنتار - المار بالسفح الجنوبي لجبل الشراة بين البلقاء والمدينة - ، واتصل اقليم القرع او وادي القسرى والحججر - وما يتصل به من واحة دهبان ( العلا ) وشيغب وبداء ( بدا يعقوب ) والسقيا ( سقيا يزيد ) - بالعويند ( الوعيند على الخرائط الحديثة ) او باوجه خلال وادي اضم ( وادي الحمض ) واتصل اقليم خيبر - وما يتصل به من المروة ( ذى المروة ) وفدك - بالحوراء ( هى ميناء Leukekome القديمة كما يرى شبرنجر ) ، واتصلت المدينة بالجار ، واتصل حصن ينبع الساحلى بالمدينة كذلك .

ونظام القبائل في هذه المنطقة قد يزيدنا وضوحا في فهم طبيعتها وتبين

الحدود البشرية والاجتماعية فيها . فالقبائل العربية في هذه المنطقة ترجع الى نظم اربعة : ثلاثة منها قحطانية ، وواحد عدناني .

اما اول هذه النظم فالنسب الذي يرجع الى الازد من قبائل اليمن ويضم الازد وخزاعة وبجيلة والايوس والخزرج ثم غسان ، وهذه القبائل امتدت ديارها على طول ساحل البحر الاحمر من اليمن الى شمال الحجاز وكانت تسيطر على طريقى النقل الرئيسيين بين الجنوب والشمال : الطريق البحرى ، والطريق البرى ، فكان بعضها يسكن تهامة والساحل والبعض الاخر يسكن فى الداخل على طول الطريق الذى يخترق سلسلة السراة والحجاز والسراة . وكانت هذه القبائل تعمل فى النقل البرى والبحرى للتجارة فى الوقت الذى كان يسيطر السبتيون والمعينيون على التجارة العالمية فى الجزيرة العربية . ولا يفوتنا ان ننبه الى ان الازد هم بحارة العرب الذين كانوا يبيعون ببيده المهنة بين القبائل العربية ، وكانوا يجوبون البحر الاحمر وبحر اليمن والخليج الفارسى .

واما النظام الثانى فهو النسب العدناني الذى يرجع الى اسماعيل والذى كانت تسكن قبائله فى اول الامر سلسلة الحرات واطرافها الشرقية التى تمتد من الشمال الى الجنوب من دومة الجندل تقريبا الى حرة بنى عقيل المعروفة بسراة فهم وعدوان الواقعة جنوب الطائف بين سراة ثقيف وسراة شنوءة او الازد . والتي كانت ديارهم تقسح الى الشرق من ديار قبائل الجنوب التى ذكرناها فى النظام السابق . والمصادر اليهودية تذكر اولاد اسماعيل على انهم هم ادوم وعلى انهم كانوا فى وادى فاران . اما ادوم فانها دومة الجندل كما حقق ذلك موزيل واما فاران فهو معدن فاران (١) الذى يقع فى حرة بن سليم وهو احد المعدنين القديمين المشهورين بديار العرب . احدهما فاران هذا ، والاخر عقيق بنى عقيل (١) فى حرثهم والذى يقول فيه الرسول صلى الله عليه وسلم مطرت ارض عقيل ذهبا . فأرض اولاد اسماعيل هى اقليم الحرات شرقى سلسلة الجبال وهو المشهور بالذهب . والشعر العربى يصف مضر بانها « مضر الحمراء » (٢) . ويقاوان فى تفسير ذلك انه نسبة الى الذهب ، فهذا التفسير له معناه . يقولون انه نسبة الى الاديم الاحمر الذى اتخذت منه خيمتهم الحمراء ، وهذا له معناه كذلك فكلمة ادوم معناها فى اللغة

(١) انظر الهمداني : صفة جزيرة العرب ( ليدن ١٨٨٤ ) معدن فاران

١٧٠ ، عقيق بن عقيل ١٧٧ .

(٢) انشدوا فى ذلك :

اذا مضر الحمراء عب عباها فممن يتصدى موجهها حين تزخر

العبرية الحمرة والبحر الاحمر كان يسمى بحر اودوم فترجم ذلك بالاحمر (١) .  
 فلعل هناك صلة بين صفة الحمرة في مضر وبين نسبة الحمرة الى واحة اودوم .  
 اما العمل الرئيسي لقبائل هذا النظام الثاني فكان رعى الابل وتناجها في منطقة  
 الحرات وماسال منها شرقا . وكانت هذه الابل تعد لنقل متاجر الجنوبيين .  
 واما النظام الثالث فهو نسب القبائل التي تنتهي الى قضاة من قبائل  
 الجنوب . ويشمل كلب وبنى القين وبنى سليح وتنوخ وجرم وراسب وبهراء  
 ويلي ومهرة وعذرة وجهينة ونهدة . وهذه القبائل تسكن المنطقة التي تقع بين  
 ساحل البحر الاحمر وبين طريق النقل الداخلى والى الشرق منه قليلا في  
 بعض اقليم الحرات في المنطقة الواقعة بين ايلة شمالا والوجه جنوبا . وفرع  
 من هذه القبائل يسكن دومة الجندل والحيرة . فهذه القبائل كانت تمتد في  
 منطقة اشبه بحزام او شريط يصل فيما بين الحيرة والخليج الفارسي وبين  
 منطقة ايلة ومدین على البحر الاحمر . وكانت هذه القبائل تسيطر على طريق  
 التجارة الواصل بين منطقة الفرات والخليج الفارسي وبين منطقة خليج العقبة  
 والشام . كانت هذه القبائل متعاونة اول الامر مع قبائل الازد التي تسيطر  
 على الطريق من الجنوب الى الشمال . ويشيرون في ذلك باشارة لها معناها  
 فيقولون ان زعيما من الازد اتى البحرين فالتقى هناك بزعيم من قضاة  
 فتحالفا على التعاون فسموا تنوخا . ولكن هذه القبائل بعد ظهور الاشوريين  
 على مسرح الحياة العالمية اضطرت للخضوع للاشوريين . ومما يجدر ملاحظته  
 انه كان على رأس هذه القبائل ملكات من امثال زيبى وشمسي كن الى جوار  
 ذلك كاهنات القبيلة . ومن بين هذه القبائل كذلك قبيلة عذرة التي اشتهرت  
 في الادب العربي بالهوى المدري . واذا لاحظنا ان عبادة « اشتر » القديمة  
 التي كانت معروفة عند الساميين كانت تدور حول الحب وتهدف الى قهر  
 الموت والفناء عن طريق الحب امكننا ان نبين مقدار تأثر هذه القبائل بالحياة  
 الاشورية وبالنظام الاجتماعى الاشورى (٢) .

واما النظام الرابع فهو النسب الذى ينتهى الى كهلان من قبائل اليمن  
 والذى يدخل فيه لخم وكندة وطى وعاملة وجذام . وكانت ديار هذه القبائل

١) Le Père: De la mer Rouge Description de l'Égypte 2ème (١)  
 édit.) T XI, 198

(٢) لا ادري اذا كانت هناك صلة بين عبادة « اشتر » وبين تسمية المر-  
 الواصل بين مدين وتبوك وبالتالي بين مدين وتيماء باسم ممر « شيتار »  
 ( ككتاب ) ! . والهمداني في تعدادده لشطوط بحر العرب ( السواحل والموانئ )  
 يعد منها تيه تيماء . وكلمة تيه كما يتضح من نصه معناها الساحل او المرسى  
 المتصل بواد يصله بالداخل ( صفة جزيرة العرب ( ليدن ١٨٨٤ ) ١٢٧ ) .

تمتد من الخليج الفارسي والفرات شرقا الى البحر الاحمر غربا قريبا من اقليم مدين . وكانت ديار هذه القبائل تقع على الجملة جنوب ديار القبائل السابقة يفصل بينهما النفود الشمالي فكانت ديارهما تشتركان في المنطقة الشمالية للحجاز . ولعل هذا الفرع لم يظهر الا في وقت متأخر حين بدأ النزاع بين الاثوريين والبابليين . فالاشوريون يحاولون السيطرة على الطريق التجاري بمجموعة القبائل التي ترجع الى قضاة والبابليون يحاولون ذلك بالمجموعة التي تسكن جنوب المجموعة السابقة وترجع الى كبلان . وقد اعتمد الفرس على قبائل هذا النوع الثاني فيما بعد ذلك اذا اعتمدوا على ملوك الحيرة وكندة .

فالمطقة الشمالية للحجاز هي هذا الاقليم الذي كانت تختلط فيه النظم الاربعة السابقة من اسباب الجزيرة العربية . وان كان هذا التحديد سيخرج المنطقة التي تقع فيها تيماء - والتي كانت منطقة معزولة - من الاقليم الشمالي للحجاز وقد يكون ذلك اصح واجدر بالاعتبار . فاقليم تيماء يتصل ببادية نجد اكثر مما يتصل باقليم الحرات في الحجاز فجل الطيبق وبادية السماوة تفصله عن اقليم الحجاز وبعض الجغرافيين يعتبره من قليم بادية الجزيرة قوبرية عساف لاتصاله بدومة الجندل وتدمر .

#### الحد بين الحجاز ونجد :

يتكون الحد الشرقي لاقليم الحجاز من سلسلة مناطق متتابعة يتاو بعضها بعضا من الشمال الى الجنوب وتأخذ كلما هبطنا نحو الجنوب في الاتساع والانبعاج نحو الشرق حتى يبلغ ذلك اقصاد عند الوسط تقريبا ثم تعود بعد ذلك فتضييق ويأخذ طرفاها في التجمع والاتساق الواحد منهما الى الاخر حتى تبلغ اقصى الجنوب فتكون هناك اضييق مانجدها . وهذه السلسلة من المناطق التي تؤكد اسمائها واعلامها وجودها المستقل المتميز - ترسم لنا بواسطة حدودها الشرقية او الغربية خط الحدود بين الحجاز ونجد ، وذلك تبعا للاختلاف من حيث اعتبارها في اقليم نجد او اقليم الحجاز . وهذه المناطق هي على الترتيب من الشمال الى الجنوب : منطقة القرى - الجنب - الجلس - نجد العليا - ارض العالية - تليلث .

منطقة القرى : هذه المنطقة هي المنطقة الشمالية والشمالية الشرقية من اقليم الحجاز . وكان لها خصائصها المستقلة التي ميزتها عن غيرها وافردتها بالنسبة التي عرفت بها . وهذه المنطقة هي التي تقع فيها واحات خيبر وفدك والسوارقية وامثالها . والاصمعي يؤكد لنا هذا التمايز في نصه الذي يقول فيه « وما دون الرمل ( النفود ) الى الريف من العراق ، يقال له العراق . وقرى عربية كل قرية في ارض العرب نحو خيبر وفدك والسوارقية وما اشبه

ذلك « (١) والمغيرة بن عبيد الرحمن في تحديده لبلاد العرب يقول « جزيرة العرب مكة والمدينة واليمن وقربانها » (٢) . وهذه المنطقة وان كانت تتصل بوادي القرى الا انها تستقل عنه في خصائصها . وهي منطقة تقع في وسط الحرات الوعرة قائمة في شبه عزلة واستقلال ، ولما كان طريق الوصول اليها هو عن طريق الجنوب الشرقي من وادي القرى او من وادي خيبر فاعتبرت هذه المنطقة من الحجاز . وتلامس هذه المنطقة عند حافتها الشمالية ولشمالية الشرقية حدود نجد او حدود البادية . وفي شمالها الغربي تقع المنطقة المنخفضة التي تفصل بينها وبين تبوك والتي تعتبر منها منطقة المحتطب، وبذلك يتم الاقليم الفاصل المحيط بها من الشمال الغربي والشمال والشمال الشرقي والذي يفصل بين نجد وشمال الحجاز .

فالحدود بين نجد والحجاز في هذه المنطقة تبدأ من منطقة المحتطب هذه وتتجه لى الشرق والجنوب الشرقي أسفل منطقة الحرات التي تقع عليها فذك وخيبر والسواريقية حتى تتصل برمل الهير أو عالج ( النفود ) وهي بهذا تفصل بين تيماء التي تقع الى الشمال عند الطرف الغربي للنفود وبين اقليم الحرات . فتيماء من بادية نجد « ومنها تمتاز البادية كما يقولون » (٣) واقليم الحرات من الحجاز . ومما يجدر ملاحظته ان منطقة المحتطب هذه ينبت فيها الفضا وقد اعتبر ابن الفقيه ظهور هذا النبات علامة لتمييز نجد عن الحجاز فهو كما يرى لا ينبت الا في نجد « وقد قيل فرق ما بين الحجاز ونجد انه ليس بالحجاز غضا فما انبت الفضا فهو نجد وما انبت الطلح والسمر والاسل وواحدته اسلة فهو الحجاز » (٤) .

الجَنَاب : ويقع شمال ارض فزارة ( ذبيان ) وجنوب ارض كلب « فان جاوزت بلاد بنى فزارة الى ارض كلب فانت بالجناب » (٥) . والاصمعي يؤكد لنا وضع هذا الاقليم بين غطفان و كلب « والجناب ما بين غطفان و كلب » (٦) . « فاذا تجاوزت بلاد فزارة فانت بالجناب الى ارض كلب » (٧) . فالجناب يقع

(١) البكري : معجم ما استعجم ( القاهرة ١٩٤٥ ) ١٥ .

(٢) = ٦ هذا اذا اعتبرنا الضمير في كلمة « قربانها » يعود على جزيرة العرب ، وان كان من الممكن ان يعود على اليمن فهي اقرب مذكور اليه .

(٣) كانت تيماء منازل طي ( البكري : معجم ما استعجم ( القاهرة ١٩٤٥ ) مادة « تيماء » ) وطى من قبائل نجد لذلك اعتبرت تيماء من نجد وليست من الحجاز .

(٤) ابن الفقيه : مختصر البلدان ( ليدن ١٨٨٥ ) ٢٧ .

(٥) البكري : معجم ما استعجم ( القاهرة ١٩٤٥ ) ١٢ .

(٦) = ١٤ ، مادة « جناب » .

(٧) ياقوت : معجم البلدان - مادة « نجد » .

في منطقة الحرات الشمالية التي تكون الجبهة الشمالية لاقليم الحجاز والتي تقع نجد والبادية اسفل منها . وعنده الحرات هي : الحرة الرجلاء . حرة راهص . حرة راجل . حرة نيلي . وحرة الرجلاء هذه في ديار بنى القين « الحرة الرجلاء وهو علم لحرة في ديار بنى القين بن جسر بين المدينة والشام » وحرة راجل في بلاد بنى عيس . وحرة راهص هي في دياره فزاره . وحرة نيلي لبني مرة بن عوف من ذبيان (١) . وتكون هذه الحرات الجبهة الشمالية لمنطقة الجلس .

وكان يسكن بالجناب هذا قبائل عنده وبلى « والجناب أرض عذرة وبلى » (٢) وكان بين اقليم الجناب وبين نيماء في المنطقة التي تكاد تقع على حدود البادية حصن المومل « وبين جناب وتيماء حصن الإبلق الفرد الذي كان ينزله السمومل » (٣) .

الجلس : اذا تصورنا الحجاز شجرة قريبة من الارض لها جذر طويل ضارب فيها وأما جرع قصير تماوه مجموعة كثيفة من الاغصان قد عمل التقليم والقص في الجانب الايسر منها فقط عن الجانب الايمن ، كانت هذه الاغصان هي اقليم الجلس وكان ساحل البحر الاحمر هو المقص الذي جار على جانبها الايمن وكانت اغصان جانبها الايمن هي الاقليم الممتد شرقا وشمالا حتى جبل طى . وكان رأس هذه الشجرة هو اقليم الحرات الشمالية وكانت تقطة اتصال اغصانها بجزعها عند منتصف الطريق بين مكة والمدينة وان كانت الى مكة اقرب منها الى المدينة . اما جزعها فهو جبال الحجاز وأما جذرها الطويل فهو جبال السراة .

والجلس كما يحدده لنا ابن الكلبي ما بين الجحفة وجبلى طى وبعد المدينة منه « قال والجلس ما بين الجحفة الى جبلى طى والمدينة جلية » (٤) . وذهب الى هذا الحديد ايضا عرتام بن الاصمغ وزبده وضوحا . وسداد بعض الاماكن التي تدخل فيه « الجلس ما بين الجحفة الى جبلى طى . والمدينة جلية وأعمال فلك وخيبر ووادي القري والمروة الجار والفرع » (٥) والبكري يستكمل لنا توضيح هذه الحدود من الجنوب ثم من الشرق فيقول « الجلس ما ولى بلاد هذيل » (٥) ويقول « وبلاد أسد الجلس والقنان وثبان الابيض وثبان الاسود الى الرمة » (٦) .

(١) ياقوت : معجم البلدان - مادة « الحرار » .

(٢) البكري : معجم ما استعجم ( القاهرة ١٩٤٥ ) مادة « تيماء » .

(٣) = ١٠

(٤) = ١١

(٥) = ١٢

(٦) = ١٥

والجحفة هذه - وهي النقطة التي يبدأ عندها اقليم الجلس - منزل من منازل الحاج بين مكة والمدينة ، بينها وبين المدينة ١٧٣ ميلا وبينها وبين مكة ١٠٣ ميلا ، وهي قريبة من ساحل البحر الاحمر تبعد عنه بمقدار ثمانية اميال فقط ، وهي وفق حساب الهمداني تقع على خط ١٠ ٢٢ من خطوط العرض . وجبلا طيء هما اجا وسلمى يقعان على خط عرض ٢٧ تقريبا على يسار الطريق الواصل من الحجاز الى الكوفة على مسافة ٤٠٢ ميلا من مكة ، ٢٤٧ ميلا من المدينة .

ولما كانت الجحفة تقع على ساحل البحر لا تبعد عنه الا بمقدار ثمانية اميال فقط ، ولما كان الجار فريضة المدينة على ساحل البحر قد عده عزائم بن الاصبغ من اقليم الجلس فاقليم الجلس يضم جزءا من تهامة أو الفور وهو يمتد من الجحفة جنوبا مشرفا على ساحل البحر الى ما يحاذى اجا وسلمى وخيبر وفدك .

واذا كان جزء من الجلس من قسمه الغربي يقع في اقليم تهامة فهل يقع قسمه الشرقي جميعه في اقليم الحجاز ، او أن طرفا منه يقع في اقليم نجد ؟ البكري يحدد لنا حدود الحجاز من هذه لناحية فيقول « ومن المدينة الى طريق الكوفة الى الرمة حجاز ، وما وراء ذلك نجد الى ان تشارف ارض العراق . ومن طريق البصرة الى بطن نخل حجاز ، وما وراء ذلك نجد الى ان تشارف البصرة . وما بين المدينة الى طريق صنعاء اذا سلك على معدن بنى سليم حجاز الى الجرد الى نجران الى صنعاء . ومن المدينة الى بطن نخل الى شباك بن عليّة حجاز الى الريدة . وما وراء ذلك الى الشرف الى اضاخ وضرية واليمامة نجد » (١) .

وبطن نخل على الطريق من المدينة الى الكوفة وهي تقع في شرق المدينة في محاذاتها مع ميل الى الشمال مقداره درجة تقريبا وهي تبعد عن المدينة بمقدار ٤٩ ميلا ( عرض بطن نخل ٢٥٠ وعرض المدينة ٢٤٠ تقريبا . وفق حساب الهمداني ) .

والريدة على الطريق من مكة الى الكوفة على بعد ٢٠٠ ميل من مكة ، ٥٨ ميلا من معدن النقرة وهي مجمع طريقي مكة والمدينة الذاهبين الى الكوفة . والريدة بين معدن النقرة ومكة . وعرض الريدة ٢٥ .

ومعدن النقرة وهي مجمع الطريقين تقع بين الحجاز وبين فيد وبينها وبين فيد ١١٩ ميلا وبينها وبين مكة ٢٥٨ ميلا وبينها وبين المدينة ١٢٨ ميلا وهي على عرض ٢٦ . وبطن نخل تبعد عنها بمقدار ٧٩ ميلا .

(١) البكري : معجم ما استعجم ( القاهرة ١٩٤٥ ) ١٢

ومعدن بنى سليم على الطريق من مكة الى الكوفة بينها وبين مكة ١٦٠ ميلا وبينها وبين معدن النقرة ١٢٤ ميلا والريذة في منتصف المسافة تقريبا بين معدن النقرة ومعدن بن سليم فبين الريذة ومعدن النقرة ٥٨ ميلا وبين الريذة ومعدن بنى سليم ٦٦ ميلا . ومعدن بنى سليم على عرض ٢٣/٣٠ .  
وطريق البصرة (من البصرة الى مكة) يقع الى الشرق والجنوب قليلا من طريق الكوفة ( من الكوفة الى مكة ) والمسافة الواقعة بين الطريقين هى مسيرة ثلاث مراحل وهى المسافة الواقعة بين معدن النقرة في طريق الكوفة وبين النجاج في طريق البصرة . ثم تأخذ المسافة بعد ذلك في الضيق حتى يلتقى الطريقان عند ذات عرق ، ميقات اهل العراق .

فالبكرى يصور لنا القسم الشرقى من الحجاز مثلثا تستند قاعدته الى وادى الرمة شمال المدينة وضلعه هو الخط الواصل بين المدينة ومكة ووتره يتكون من عدة انكسارات فتبدأ النقطة الاولى عند التقاء الرمة بطريق الكوفة ويسير هذا الوتر حتى الريذة . ومن الريذة الى معدن بنى سليم ثم الطائف يضاف الى ذلك منطقة اخرى تقع بين بطن نخل الى طريق البصرة .

فحدود الحجاز وفق هذا التحديد تنتهى في الشمال عند التقاء الرمة بطريق الكوفة اى في ثلثى الطريق بين المدينة وجبلى طى تقريبا واذا أخذنا في ذلك بتحديد عرام بين الاصبع الذى يجعل حد الحجاز « من معدن النقرة الى المدينة » (١) فننتهى هذه الحدود كذلك قبل أن تصل الى جبلى طى بمسافة طويلة تقارب مائة ميل ، وديار بنى اسد التى تقع في المجلس تقع في هذا الجزء الذى يخرج عن حدود الحجاز . وما ولى ديار هذيل الذى يقع في المجلس هو ديار سليم وهوازن وهى تقع في حد الحجاز هذا .

ولما كان جزء كبير من شمال المجلس يقع خارج حدود الحجاز فقد دفع ذلك قوما الى اعتباره من نجد ويساعدهم في ذلك أن الحجاز عندهم حجازان الحجاز الاسود وهو سراة شنوءة أو الحجاز والحجاز الآخر هو حجاز المدينة وبعضهم لا يعتبره من الحجاز اذ يعتبر نهايه الحجاز عند المَرَج (٢) في الطريق بين مكة والمدينة . وهى تبعد عن المدينة بمقدار ٨٥ ميلا وعرضها ٢٢ « وكذلك اذا

(١) البكرى : معجم ما استعجم (القاهرة ١٩٤٥) ١٠ .

(٢) يعتبر بعض الجغرافيين أن العرج هى نقطة اتصال جبال الحجاز بجبال لبنان فلذلك يقصرون اسم جبال الحجاز على السلسلة التى تمتد منها نحو الجنوب « والعرج عقبة بين مكة والمدينة على جادة الحاج ، تذكر مع السقيا - عن الحازمى - وجبلها متصل بجبل لبنان » ياقوت : معجم البلدان - مادة « العرج » .

تصوبت في ثنانيا العرج الى قصه بلاد بنى فزارة انت متهم فان جاوزت بلاد بنى فزارة الى ارض كلب فالت بالجناب « (١) » ولذلك اعتبروا المدينة من تهامة . واعتبر بعضهم الجلس نجدا لاقليم الفؤر خاصة . « معنى تهامة والفور واحد ومعنى حجاز وجليس واحد . هكذا ذكر الزبير بن بكار عن عمه . وقال غيره معنى حجاز وجليس ونجد واحد « (٢) » والجلس علم لكل ما ارتفع من الفؤر في بلاد نجد « (٣) » .

فالجلس فيما يبدو اقلية قائم بذاته يقع في شمال الحجاز الاسود . وجزء منه من الفؤر وهو الجزء المرتفع من الساحل ، وجزء منه من نجد وهو امتداد حرات خيبر وليلى نحو الشرق ، وجزء ثالث منه من حجاز المدينة الذي عرف فيما بعد مع الحجاز الاخر باسم الحجاز فقط .

وحدود الحجاز الشرقية في اقليم الجلس هذا تقع عند التقاء طريق العراق بوادي الرمة عند الخط الفاصل بين الريدة والشرف وهو مايسميه البكري بحد الحجاز الاول « وحد الحجاز الاول بطن نخل واعلى رمة وظهر حرة ليلى » (٤) .

نجد العليا : ونجد نجدان عليا وسفلى « ويقال في نجد العليا نجد وفي السفلى ارض نجد » (٥) والنجد او نجد العليا هي ادنى النجدين الى الحجاز والسراة ، تمتد من الشمال الى الجنوب في شرقي سلسلة الحرات الوسطى . « وقال ابو منصور حرة ليلى وحرة سوران وحرة بنى سليم في عالية نجد » (٦) وحرة ليلى في شمال خيبر وشرقيها . وحرة شوران في شرقي وادي العقيق وفي شرقي المدينة « قال عرام غير ( جبل المدينة ) جبلان احمران عن يمينك وانت ببطن العقيق تريد مكة وعن يسارك شوران » وحرة بنى سليم او حرة النار في منازلهم حول معدن بنى سليم .

والفاصل ما بين الحجاز ونجد هو هذه الحرات فما سال منها نحو المشرق والشمال الشرقي فهو من نجد وماسال منها نحو المغرب فهو من الحجاز « وقال عمارة بن عقيل ماسال من الحرة حرة بنى سليم وحرة ليلى فهو الفؤر وماسال

(١) البكري : معجم ما استعجم ( القاهرة ١٩٤٥ ) ١٣

(٢) ٨/٧ =

(٣) ياقوت : معجم البلدان - مادة « جلس » .

(٤) البكري : معجم ما استعجم ( القاهرة ١٩٤٥ ) ١٠

(٥) الهمداني : صفة جزيرة العرب ( لندن ١٨٨٤ ) ١٧٧

(٦) ياقوت : معجم البلدان - مادة « الحرار »

من ذات عرق مقبلا فهو نجد . وحذاء نجد اسافل الحجاز وهى وجرة  
والفصرة . وماسال من ذلك عرق موليا الى المغرب فهو الحجاز » (١) غير ان  
عمارة يقصر معنى الحجاز فى نصه على الحجاز الاسود خاصة ويطلق لفظ  
الغور على اقليم الجلس وما ينقله ابن الفقيه يحدد لنا ذلك فى صورة اكثر  
وضوحا « قال جعفر اودية نجد تسيل مشرقا واودية تهامة تسيل مغربا » (٢)

فالمنطقة شمال وجرة والفصرة التى يعتبرها عمارة بن عقيل من الغور او  
اسافل الحجاز هى منطقة الجلس ( الفمر على عرض ٢٢° وهو عرض الجحفة  
وبينها وبين مكة ٧٣ ميلا ) وقد بينا ان القسم الشرقى من منطقة الجلس او  
ماسال من بطن الرمة شرقا او ماسال من حرة ليلى وخيبر شرقا فهو نجد .  
وماسال من حرة شوران شرقا فهو نجد . ويقع ذلك عند اتصال الجلس  
بنجد فى هذه المنطقة قريبا من الريدة . وماسال من حرة سليم شرقا فهو نجد  
كذلك وحده جبل حَضَنَ الذى قالوا فيه ان من رأى حضنا فقد أنجد  
« حَضَنَ جبل بالمالية مشرف على السى الى جانب ديار سليم وهو اشهر  
جبال نجد » فحَضَن هو الحد بين اقليم الحرة وبين نجد .

والجغرافيون الذين اتخذوا ساحل البحر اساسا لتحديد الاقسام الداخلية  
للجزيرة يضعون نجدا فى المنطقة الواقعة شمال المدينة فتكون الحدود بين  
نجد والحجاز هى من ناحية الشمال فحسب ولعلمهم قد اضافوا اليمامة الى  
اعمال المدينة كما كان الحال فى عهد الامويين فتكون الحدود بين نجد والحجاز  
هى اقليم حرة خيبر ومنطقة جبل طى الى ان تتصل برمل الهجير ( النفود )  
وممن ذهب الى هذا التقسيم ابن حوقل والاصطخرى « وما كان من اليمامة  
الى قرب المدينة راجعا على بادية البصرة حتى يمتد على البحرين فمن نجد » (٣)

ارض العالية او العنروض : وارض العالية التى تقع الى الجنوب من نجد  
العليا والى الشرق من الحجاز كانت تعرف بالعروض او الاعراض . وهى  
المنطقة المشتركة بين نجد والحجاز وتمتد مساحتها شرقا حتى اليمامة  
والبحرين وجنوبا حتى اليمن . وابن الكلبي يعيها ويرسم لنا حدودها فى  
نصه الذى يقول فيه « وارض العالية والبحرين الى عمان من العروض » (٤) .

(١) البكرى : معجم ما استعجم ( القاهرة ١٩٤٥ ) ١٤

(٢) ابن الفقيه : مختصر البلدان ( ليدن ١٨٨٥ ) ٢٦

(٣) ابن حوقل : صورة الارض ( ليدن ١٩٢٨ ) ٢١ - الاصطخرى : مسالك

الممالك ( ليدن ١٩٢٧ ) ١٤

(٤) البكرى : معجم ما استعجم ( القاهرة ١٩٤٥ ) ١٠

ويذهب إلى ذلك أيضا أبو اسحق الحربى فيقول « وأخرج عمر بن الخطاب اليهود والنصارى من جزيرة العرب الا انه لم يخرجهم من نجران ولا اليمامة والبحرين فسميت العروض » (١) فهذه المنطقة كانت منطقة واحدة متميزة تقع بين الحجاز ونجد واليمن والخليج الفارسى .

والجزء الغربى من هذه المنطقة الذى يقع بين جبال السراة ورمال الربع الخالى المعروفة برملة بنى سعد او رملة يبرين وان كان هو - فى حقيقة الامر - الطريق البرى الوحيد الموصل بين اليمن وبين اليمامة ثم الى البحرين وعمان، او بين تهامة والحجاز وبين هذه المناطق - خلال وادى الدواسر الذى يشق منطقة الرمال الفاصلة - فانه على الرغم من ذلك تان منفصلا ومستقلا من الناحية الجغرافية عن هذه المناطق . فان بحر الرمال كان يفصله عن اليمامة والبحرين وعمان وان كانت الصلات الاخرى الاجتماعية والاقتصادية تربطه بهما .

فالاعتبارات الجغرافية تضيف هذا الاقليم الى الحجاز او الى نجد العليا ، الملاصقة للحجاز . والنصوص تؤكد هذه الاضافة « والأعراض أيضا قرى بين الحجاز واليمن » (٢) . « وأعراض الحجاز رسائيقه الواحدة عرض » (٣) . « وأعراض نجد هي بيشة وترج وتباله والمراعة ورنية » (٤) وكلمة نجد المستعملة هنا هي نجد الحجاز او « أرض العالية » .

والحس اللغوى قد تنبه الى أن منطقة العروض او الأعراض هذه هي فى واقع الامر منطقتان تفصل بينهما رمال الربع الخالى فأكد ذلك الفصل فى التسمية فكان يطلق العروض على اليمامة والبحرين وعمان . وكان يطلق اسم الأعراض على القسم الأخر .

والخط الواصل بين حوضين فى الشمال وبين جبل تليلث فى الجنوب ينطبق على الحافة الغربية لمنطقة الرمال الفاصلة وهى تكون الحد بين الحجاز ونجد فى هذه المنطقة اذا اعتبرنا هذه الرمال من منطقة نجد .

تهامة :

يطلق على الساحل المحصور بين البحر وجبال السراة او الحجاز لفظ

- (١) البكرى : معجم ما استعجم ( القاهرة ١٩٤٥ ) ١٢
- (٢) ياقوت : معجم البلدان - مادة « عرض » .
- (٣) القاموس المحيط - مادة « عروض » .
- (٤) البكرى : معجم ما استعجم ( القاهرة ١٩٤٥ ) ٩

تهامة أو الفور ، غير أن الاغلب أن يطلق لفظ تهامة على الجزء منه الواقع في حدود اليمن ، فيقال تهامة اليمن ، ويقلب اطلاق لفظ الفور على الجزء الشمالي منه الواقع شمال الجحفة ، ويطلق لفظ الفور أو تهامة - بدرجة واحدة من التساوى - على الجزء الاوسط منه الواقع في حيز الحرم حتى الجحفة .

واساس التخصيص في هذه التسمية هو الارتباط بجمال السراة . فسلسلة السراة التي تنتهى عند ذات عرق حيث تختفى النهاية الشمالية لسراة تقيف أو السراة الثالثة تنهى معها تهامة حيث يلتقى طرفا نجد وتهامة بعد ان تختفى الحجاز الاسود الفاصل بينهما . لذلك كانت ذات عرق فصل ما بين تهامة ونجد والحجاز « وذات عرق فصل ما بين تهامة ونجد والحجاز » وقيل لاهل ذات عرق امتهمون انتم أم منجسدون فقالوا لامتهمون ولا منجسدون « (١) . وكانت الحدود الشمالية لتهامة تقف عند الخط الواصل من ذات عرق هذه الى البحر « وأما تهامة فانها قطعة من اليمن جبال مشتبكة اولها مشرف على بحر القلزم مما يلي غربيها . وشرقيها بناحية صنعذة وجرش ونجران . وشمالها حدود مكة . وجنوبيها من صنعاء على نحو من عشر مراحل » (٢) .

وفي النقطة التي يختفى عندها الحجاز الاسود تبدأ سلسلة حرات الحجاز التي تتجه الى الشمال مكونة حجاز المدينة الذي يعلو منطقة الجلس ابتداءً من حد الجحفة . ويسير ساحل تهامة موازيا لهذا الحجاز حتى اذا صادف اقليم الجلس مضى فيه قليلا الى نقطة تقع في الشمال والشمال الشرقي من الجحفة حيث يلتقى هناك حجاز المدينة ( أو اقليم الحرة ) وتهامة ( أو الفور ) واقليم الجلس . وهذه النقطة التي تلتقى عندها الاقليم الثلاثة تعرف بالمرزج « طول الحجاز من حد المرزج الى السراة » (٣) . والمنطقة التي تقع جنوب الجحفة هي الفور أو تهامة ، والمنطقة التي تقع الى شمال الجحفة على ساحل البحر هي الفور فقط أى غور الجلس « فصار ما خلف هذا الجبل في غربيه الى اسياف البحر من بلاد الاشعريين وعك وكنانة الى ذات عرق والجحفة وما والاها وصاقبها وغار من أرضها الفور ، غور تهامة - وتهامة تجمع ذلك كله - وغور الشام لا يدخل في ذلك » (٤) .

(١) البكري : معجم ما استعجم ( القاهرة ١٩٤٥ ) ٩

(٢) ابن حوقل : صورة الارض ( ليدن ١٩٢٨ ) ٣٦ - الاصطخرى : مسالك

الممالك ( ليدن ١٩٢٧ ) ٢٣

(٣) ابن الفقيه : مختصر البلدان ( ليدن ١٨٨٥ ) ٢٧

(٤) البكري : معجم ما استعجم ( القاهرة ١٩٤٥ ) ٩

ولما كانت العرج نقطة اتصال جبال الحجاز بجبال لبنان « والسرّج عقبة بين مكة والمدينة على جادة الحاج تذكر مع السّياح - عن الخازمي - وجبلها متصل بجبل لبنان » (١) فانا نستطيع ان نفهم لم خصص الجز من شمال الجحفة باسم الغور فقط - وذلك لان غور الشام لا يدخل في حد تهامة « وغور الشام لا يدخل في ذلك » . وكثيراً ما نجد هذه المنطقة تسمى « بسيف البحر » الى جانب تسميتها بالغور .

ولما كان الجزء الجنوبي من ساحل البحر يعرف بتهامة وكان الجزء الشمالي منه يعرف بالغور فان الجزء الاوسط جمع بين الاسمين فسمى تهامة وسمى الغور ايضاً .

ومن حدد مفهوم لفظ الحجاز فقصره على الحجاز الاسود اى جبال السراة فقد اعتبر مكة من تهامة فهي دون هذا الجبل ، محصورة بينه وبين البحر . ومن نهم من لفظ الحجاز الحجازين جميعاً : الاسود ، وحجاز المدينة فمكة عنده من الحجاز لانها تقع في الهضبة المرتفعة التي ترتكز عليها جبال السراة او الحجاز الاسود . وكذلك شأن المدينة فهي من تهامة او الغور عند من يقصر معنى الحجاز على الحجاز الاسود فقط وهي من الحجاز على المعنى الثانى فهي تقع فوق نفس الهضبة الحجازية التي ترتكز عليها سلسلة السراة . ومن لا يعترف الا بالحجاز الاسود قد يعتبرها كذلك من نجد لانه قد يعتبر اقليم الجلس من نجد « على ان من العلماء بتقسيم هذه الديار من زعم ان المدينة من نجد لقربها منها وان مكة من تهامة اليمن لقربها منها » (٢) .



ونصوص الجغرافيين في رسم الحدود الحاجزة بين اقسام الجزيرة العربية تكشف لنا - عن طريق تحليلها واستعراض اوجه الخلاف بينها - عن بعض من مراحل التطور في حياة الجزيرة العربية . فقد كانت هذه المراحل تنعكس في اغلب الاحيان على الاعلام الجغرافية والعناصر الثابتة في حياة الجزيرة العربية . ولعلنا نوفق الى تتبع هذا التطور في مناسبة اخرى .

**عبد المحسن الحسينى**

(١) ياقوت : معجم البلدان - مادة « العرّج » .

(٢) ابن حوقل : صورة الارض ( ليدن ١٩٣٨ ) ٢١